Action for Hope
العمل للأمل

على خطى الموسيقى
ON THE TRACKS OF MUSIC

ما بين المركز والهامش

النشاط الثقافي وعلاقته بالتماسك المجتمعي والسلم الأهلي في سوريا

شباط / فبراير ٢٠٢٦

بدعم من
صندوق حماية الثقافة، المجلس الثقافي البريطاني

in partnership with

BRITISH COUNCIL

Department
for Culture,
Media & Sport

منظمة العَمَل للأَمَل

تأسستْ منظمةُ العمل للأمل عامَ 2015 بهدف تقديم برامج التنمية والإغاثة الثقافية التي تلبي الاحتياجاتِ الثقافيةِ والاجتماعيةِ والنفسيةِ للمجتمعاتِ المنكوبةِ والمهمّشة والنازحة، حيث تؤمِنُ المنظمة بدورِ الفنونِ والثقافةِ في دعمِ الأفرادِ والمجتمعاتِ، خصوصاً أولئك الذين يعيشونَ في ظروفٍ صعبةٍ، والمجتمعاتِ الخارجةِ من أزماتٍ ونزاعاتٍ طويلةِ الأمدِ.

منذُ تأسيسِها وحتّى اليوم، نفَّذتْ منظمة العمل للأمل تدخُّلاتٍ ثقافيةً ومجتمعيةً استهدفتْ بشكلٍ أساسيٍّ المجتمعاتِ المهمشةِ وتَجمُّعاتِ النازحينَ في المنطقةِ العربيَّةِ، حيث عملتْ على تزويدِ هذهِ المجتمعاتِ بسبلِ الوصولِ إلى الثقافةِ وبالأدواتِ التي يحتاجونَها للتعبيرِ الإبداعيِّ، لإثراءِ حياتِهم وإيصالِ أصواتِهم والحفاظِ على موروثِهم الثقافيِّ وإغناءِ المشهدِ الثقافيِّ في مجتمعاتِهم والمجتمعاتِ المضيفةِ. كما طوّرتْ المنظمة، إلى جانبِ برامجِها الميدانيةِ، مساراً بحثياً يوثّقُ العلاقةَ بينَ النزاعاتِ وأثارِها على النتاجِ الثقافيِّ ومنها دراسةٌ حولَ تأثيرِ الصراعاتِ المسلحةِ على الموسيقى في الموصلِ (رابط الدراسة).

مَشروع "على خُطى الموسيقى"

"على خطى الموسيقى" هو مشروعٌ أطلقته منظمةُ العَمل للأمَل عام 2022 ويهدفُ إلى إلقاء الضوء على الموسيقى الشعبية في المجتمعات المهمّشة عبر البحث والتوثيق والتدريب والأداء والعرض. في هذا المشروعِ تمّ توثيق وتسجيل أكثر من 150 عملاً موسيقياً من أحَدَ عشرَ مجتمعاً مهمّشاً في سوريا ولبنان والعراق والأردن، وإنتاج مجموعة من الأفلام الوثائقية والتوثيقات المرئية والمكتوبة شكّلت فرصة لحفظ المعرفة الفريدة في هذه المجتمعات وإعادة ابتكارها ومشاركتها.

كما تم اكتشافُ عشراتِ الفنانينَ وصُنّاعِ الآلاتِ، وتوثيق الأنماطِ الموسيقيةِ والآلاتِ الشعبيةِ واللهجاتِ والألحانِ في هذه المجتمعاتِ. تلى مرحلةَ البحثِ تدريب عملي استهدفَ جيلَ الشبابِ من الموسيقيينَ في البلدانِ الأربعةِ لتعريفِهم بهذا الإرثِ الفنيِّ اختُتِم بتقديم حفلاتٍ موسيقيةٍ ومعارضَ للآلاتِ الشعبيةِ بهدفِ إيصالِ هذا الإرثِ إلى الجمهورِ. ندعوكم لزيارة الموقعِ الإلكترونيِّ الذي يحمل اسم المشروع "على خطى الموسيقى" والذي يضمُّ كلّ المواد التي تمَّ جمعُها وتوثيقُها بشكلٍ مرئيٍّ ومكتوبٍ والاستمتاع بالمحتوى الثريّ.

إعداد الباحثتين: زينة شهلا - بشرى عدي
التدقيقُ اللغوي: عبّود الجابري
تصميم: رشيد الصوفي

محتويات هذه الدراسة مرخصة للإستخدام برخصة المشاع الإبداعي
(CC BY-NC-ND 4.0)

جدول المحتويات

مُلَخَّصٌ تَنفيذيٌّ 4
1 مُقَدِّمَة 5
2 مَجالاتُ العَمَلِ الأساسِيَّة 13
1. الثَّقافَةُ عُموماً، وحِفظ ُالتُّراثِ ودَعْمُ الحِرَفِ التَّقليديَّة 13
2. السِّلْمُ الأهليُّ والتَّماسُكُ المُجتَمَعيُّ بأدواتٍ ثَقافيَّةٍ أو غيرَ ثقافيَّة 14
3. دَعْمُ وتَمكينُ النِّساءِ والشَّبابِ 15
4. التَّنمِيَةُ 15
3 العَمَلُ معَ المُجتَمعات المهمَّشةِ 16
أشكالُ وأسبابُ وتَجلِّياتُ التَّهميشِ في سوريا 16
التَّهميشُ على أساسٍ جُغرافي 17
التَّهميشُ على أساسٍ اجتِماعيٍّ/هَوِياّتي 18
التَّهميشُ المُرتَبِطُ بالنَّوعِ الاجتِماعيِّ (الجندَر) 18
تَجَلِّياتُ التَّهميشِ على المُستوَيَيْنِ الاقتصاديِّ والخِدميِّ 19
تَجَلِّياتُ التَّهميشِ على المُستَوِيَيْنِ الثقافيِّ والمَعرِفي 20
استِجاباتُ الفاعِلين الثَّقافيّينَ لِلتَّهميشِ في مُجتَمعاتِهم 20
4 العَمَلُ في مجالِ حمايةِ التُّراثِ السُّوري 26
5 النَّشاطُ الثقافيُّ والسِّلمُ الأهلي 29
6 التنظيمُ والحَوْكَمة 41
7 التَّحدِّياتُ 42
8 الأثَر 45
9 الرُّؤى والخُطَطُ المُستَقبليَّة 48
10 الاحتِياجات 50
11 دراساتُ حالَة 52
12 التوصِياتٌ 57
الملاحق 61
ملحق 1: قائمة الأشكال والجداول 61
مُلحَقٌ 2: الاستِبيانْ 62

مُلَخَّصٌ تَنفيذيٌّ

تُقدِّمُ هذهِ الورَقةُ البَحثيةُ سبرًا وتَحليلًا لِواقعِ العمَلِ الثقافيِّ في سوريا، بِشكلٍ خاصٍّ خلالَ العقدِ الأخيرِ؛ وبَعدَ سقوطِ نظامِ الأسدِ، وعلاقتهِ بتعزيزِ التماسكِ المُجتمعيِّ والسِّلمِ الأهليِّ، سواءً بشكلٍ مباشرٍ أو غيرِ مباشرٍ.

تمرُّ سوريا اليومَ بمرحلةٍ تاريخيةٍ بعدَ سقوطِ نظامٍ شموليٍّ سيطرَ على الحياةِ السياسيةِ والاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والثقافيةِ استمرتْ لأكثرَ من ستةِ عقودٍ، جرى خلالها ترسيخُ سياساتِ تهميشٍ ممنهجٍ للأفرادِ والمجتمعِ، وقد ساهمتْ هذه السياساتُ في بناءِ جدرانِ عزلةٍ مرتفعةٍ، وانقساماتٍ عميقةٍ بينَ مكوناتِ المجتمعِ المتنوعةِ. في الوقتِ ذاتهِ، برزَ وعيٌ كبيرٌ لدى كثيرٍ من الفاعلينَ الثقافيينَ والمدنيينَ داخلَ البلادِ وخارجَها، بأهمِّيةِ العملِ الثقافيِّ على محاورَ عديدةٍ، سواءً كنا نتحدثُ عن حمايةِ التراثِ وربطِهِ ببناءِ الهويةِ والذاكرةِ، أو استخدامِ الأدواتِ الثقافيةِ لتعزيزِ التماسكِ المجتمعيِّ؛ خاصَّةً في المناطقِ والمجتمعاتِ الأكثرِ حسّاسيَّةً وهشاشةً.

بذلكَ انطلقنا في هذهِ الورقةِ البحثيةِ؛ التي اعتمدتْ على استبيانٍ الكترونيٍّ وزياراتٍ ميدانيةٍ، لدراسةِ وتحليلِ سياقِ التهميشِ المُعقَّدِ ودورِ الفاعلينَ من مختلفِ المجالاتِ، بما فيها المجالُ الثقافيُّ في العَملِ معَ المجتمعاتِ الأكثرِ هشاشةً، والمساهمةِ في مساراتِ التماسكِ المجتمعيِّ والسلمِ الأهليِّ.

وتعتمدُ الورقةُ البحثيةُ على تحليلٍ نوعيٍّ للإجاباتِ التي حصلنا عليها؛ من نحوِ 50 فعاليَّةً ثقافيَّةً تتنوَّعُ ما بينَ مجموعاتٍ غيرِ مسجلةٍ، ومؤسَّساتٍ مسجَّلةٍ أو قيدَ التسجيلِ، وأفرادٍ مُستقلّينَ من مُختلَفِ المناطقِ السوريَّةِ، معَ التركيزِ على السِّياقِ المَحَليِّ، والفئاتِ المُستهدفةِ، ونوعِ التدَخُّلِ وطبيعتِهِ حسبَ الضروراتِ المرحليةِ لكلِّ سياقٍ. وتهدِفُ إلى:

- وضعِ خريطةٍ للمبادراتِ والفاعلينَ الثقافيّينَ الناشِطينَ؛ بمُختلَفِ المناطقِ والمحافظاتِ في سوريا.
- تحديدِ مجالاتِ عملِهم وربطِها بالضَّروراتِ والسِّياقاتِ؛ ضمنَ البيئاتِ المحلِّيَةِ على خصوصِيّاتِها.
- دراسةِ استجاباتِ هذهِ المُبادراتِ لتَجَلِّياتِ وأنماطِ التَّهميشِ المُتنوِّعةِ.
- تحديدِ مجالاتِ العمَلِ المُرتبطةِ بِحفظِ التُّراثِ السوريِّ وأهمِّ التَّحدِّياتِ الحاليَّةِ الَّتي تُواجِهُ العامِلينَ في الشأنِ الثقافيِّ.
- فهمِ الأنماطِ والآليّاتِ الَّتي يُسهِمُ من خلالِها الفعلُ الثقافيُّ؛ في تفكيكِ أسبابِ العُنفِ وبِناءِ التَّماسُكِ المُجتمعيِّ.
- تصنيفِ آليّاتِ التَّنظيمِ والحوكَمةِ وربطِها بِمساحةِ النَّشاطِ.
- جَمعِ التَّحدِّياتِ الَّتي يُواجِهُها العامِلونَ في الشَّأنِ الثقافيِّ والفنيِّ والتَّماسكِ المجتمعيِّ.
- تحليلِ أثَرِ التدخلِ الثقافيِّ على أكثرَ من مستوىً؛ من حمايةِ التراثِ إلى المساهمةِ في السِّلمِ الأهليِّ.
- تصنيفِ الاحتياجاتِ والتوصياتِ.

تُظْهِرُ نتائجُ الورقةِ بأنَّ التَّهميشَ في سوريا؛ يتَّخِذُ أشكالًا سياسيَّةً، وجُغرافيَّةً، واقتِصاديَّةً، وثقافيَّةً؛ متداخِلةً فيما بينَها، تتَناسبُ زيادةُ تداخُلِها طردِيّاً معَ عُمقِ التهميشِ. وتُؤكِّدُ النَّتائِجُ على أهَمِّيةِ العَملِ الثَّقافيِّ وحَسّاسيَّتِه للسِّياقِ المَحَليِّ المُتَغيِّرِ بِتَسارُعٍ كبيرٍ، ابتداءً من دورِ الفاعلينَ الثقافيّينَ في حمايةِ التراثِ الماديِّ واللّاماديِّ، في ظِلِّ أوضاعٍ اقتِصاديَّةٍ واجتِماعيَّةٍ وسياسيَّةٍ وأمْنِيةٍ شديدةِ التعقيدِ، إلى مُساهَمَتهِ في مَلفِّ السِّلمِ الأهليِّ؛ عِندَما يَتَجاوَزُ النَّشاطُ الرَّمزيُّ؛ ليعمَلَ على فَهمِ وتحليلِ السِّياقِ والاستِجابةِ، من خلالِ حمايةِ الذاكرةِ، وإعادةِ فتحِ الفضاءِ العامِّ، والتَعرُّفِ على الآخَرِ، وكَسْرِ العُزلةِ الاجتِماعيَّةِ، وبِناءِ التَّجارُبِ المُشتَرَكَةِ بِشَكْلٍ تَراكُميٍّ، يَضْمَنُ استدامةَ التأثيرِ.
وتَخلُصُ الورَقةُ إلى أنَّ تحقيقَ التأثيرِ وضمانَ الاستدامةِ، في ملفّاتٍ مُعقَّدةٍ؛ مثلَ حِمايةِ التُّراثِ الماديِّ، واللّاماديِّ، والسِّلمِ الأهليِّ، والتَّماسُكِ المُجتَمَعيِّ، يُشتَرَطُ دعمُهُ بِسياساتٍ ثقافيَّةٍ لا مركَزِيَّةٍ، وتَمويلٍ مُستدامٍ، ومُقارَباتٍ مَرِنةٍ وحَسّاسَةٍ للسياقِ، وتَقتَرِحُ التَّعامُلَ معَ الثَّقافةِ والفنونِ؛ كجُزءٍ لا يتجزَّأُ منْ مَساراتِ العَدالةِ الاجتِماعيَّةِ والسِّلمِ الأهليِّ، وتَفعيلَ المَساحاتِ الثقافيَّةِ والفضاءاتِ العامَّةِ في مختلَفِ المَناطِقِ السوريَّةِ، وتَمكينَ قُدُراتِ المَجموعاتِ العامِلةِ في المَجالِ الثَّقافيِّ والتَّشبيكِ بينَها على مُستَوَياتٍ أعلى.

1 مُقَدِّمَة

بَـرَزَ الاهتِـمامُ في سـوريا؛ بِـكلِّ مـا يَتَعلَّـقُ بالحِفـاظِ عـلى الـتُّراثِ المـاديِّ واللّامـاديِّ بشـكلٍ واضـحٍ بعـدَ انـدلاعِ ثـورةِ عـامِ 2011، خاصـةً مـعَ تحـولِ الحـراكِ السـلميِّ إلى نـزاعٍ مسـلحٍ في الأعـوامِ المتتاليـةِ، ضاعـفَ المخاطـرَ المحيطـةَ بـكلِّ جوانـبِ الـتراثِ وفي مختلـفِ المناطـقِ السـوريةِ، وتسـببَ بخسـائرَ عـلى مسـتوياتٍ عـدةٍ، بمـا فيهـا تدمـيرُ بعـضٍ مـن أهـمِّ المعـالمِ الأثريـةِ مثـلَ معبـدِ الإلـهِ بـل في تدمـرَ وأجـزاءٍ واسـعةٍ مـن مدينـةِ حلـبَ القديمـةِ بمـا فيهـا الجامـعُ الأمـويُّ والأسـواقُ التاريخيـةُ، والتهديـدُ بضيـاعِ الكثيرِ من عناصرِ التراثِ اللاماديِّ المتناقلةِ شفوياً نتيجةَ النزوحِ والمعاركِ العنيفةِ.

تَسـبَّبَتْ سـنواتُ النـزاعِ وفـقَ أرقـامٍ أمميَّـةٍ وَدوليَّـةٍ بمقتـلِ مئـاتِ آلافِ السـوريينَ، وفقـدانِ مـا لا يقـلُّ عـن مئـةٍ وسـبعينَ ألـفَ شـخصٍ، ونـزوحِ أكـثرَ مـن 6 ملايـينَ شـخصٍ داخـلَ البـلادِ وهجـرةِ نحـوَ 6 ملايـينَ شـخصٍ خارجَهـا، وإصابـةِ وإعاقـةِ مئـاتِ الآلافِ، إلى جانـبِ دمـارٍ هائـلٍ في البنـى التحتيـةِ يشـملُ نحـوَ ثلـثِ الوحـداتِ السـكنيةِ ونحـوَ نصـفِ البنيـةِ التحتيـةِ التعليميـةِ، وتقـدرُ تكلفةُ إعادةِ إعمارِ سوريا بأكثرَ من مئتي مليارِ دولارٍ أمريكيٍّ.

وقـد تأسَّسـتْ عـشراتُ المبـادراتِ والمنظـماتِ والمؤسسـاتِ بعـدَ عـامِ 2011، والتـي تُعنـى بالعمـلِ الثقـافيِّ والحفـاظِ عـلى الـتراثِ، بمسـاراتٍ مختلفـةٍ وبحجـمٍ ونطـاقِ عمـلٍ متفاوتَـين. وفي كثـيرٍ مـن الأحيـانِ، لم تتوقـفْ برامـجُ هـذهِ المبـادراتِ والمؤسسـاتِ عنـدَ الثقافـةِ كعمـلٍ مجـردٍ عـن التحـولاتِ التـي تعيشُـها البـلادُ، بـل غـدا العمـلُ الثقـافيُّ وسـيلةً لتحقيـقِ التماسـكِ المجتمعـيِّ والسـلمِ الأهـليِّ، خاصـةً مـعَ بـروزِ الحاجـةِ إلى هذيـنِ المحوريـنِ مـعَ تصاعـدِ العنـفِ والانقسـامِ في البـلادِ. وحتّـى مـا بعـدَ سـقوطِ نظـامِ الأسـدِ نهايـةَ عـامِ 2024، اسـتمرَّ تأسـيسُ العديـدِ مـن المبـادراتِ التـي تسـعى لتحقيـقِ السـلمِ الأهـليِّ بـأدواتٍ مختلفـةٍ منهـا الأدواتُ الثقافيـةُ، إيمانـاً بأهميـةِ هـذا المسـارِ اليـومَ في البـلادِ، وهـي تتلمَّـسُ طريقـاً صعبـاً ووعـراً بعـدَ عقـودٍ مـن القمـعِ والدكتاتوريةِ والعنفِ غيرِ المسبوقِ.

تَسـعى هـذهِ الورَقـةُ الَّتـي أُنجِـزَتْ بتِكليـفٍ مـن مؤسَّسـةِ "العَمـلُ للأمَـلِ" كجـزءٍ مـن مـشروعِ "عـلى خُطـى الموسـيقى"، إلى رصـدِ أكـبرِ شريحـةٍ ممكنـةٍ مـن الجهـاتِ الفاعلـةِ السـوريةِ، التـي تعمـلُ في مجـالِ الثقافـةِ والـتراثِ الثقـافيِّ في المجتمعـاتِ المهمشـةِ، والتـي تسـعى إلى الحفـاظِ عـلى الـتراثِ وتعزيـزهِ كوسـيلةٍ لتحقيـقِ التماسـكِ المجتمعـيِّ والسـلامِ، ودراسـةِ عملِهـا وبرامجِهـا، ومـا تقـومُ بـه خاصـةً في مجـالاتِ الثقافـةِ والـتراثِ والسـلمِ الأهـليِّ، وأبـرزِ التحديـاتِ التـي تواجهُهـا، واحتياجاتِهـا وآفـاقِ عملِهـا المستقبليةِ.

اعتمـدتْ هـذهِ الورقـةُ عـلى المنهـجِ النوعـيِّ مـن خـلالِ جمـعِ وتحليـلِ البيانـاتِ النصيـةِ والوصفيـةِ بهـدفِ فهـمِ تجـاربِ الأفـرادِ والمجموعـاتِ العاملـةِ في المجـالِ الثقـافيِّ وفي حفـظِ الـتراثِ، وتحليـلِ أثـرِ نشـاطِهم عـلى التماسـكِ المجتمعـيِّ والسـلمِ الأهـليِّ. وشـملَ ذلـك دراسـةَ تنـوعِ مجـالاتِ نشـاطِهم واختـلافِ السـياقاتِ الجغرافيـةِ والاجتماعيـةِ التـي يتحركـونَ ضمنَهـا. كـما سـعى البحـثُ إلى تحديـدِ الدوافـعِ المرتبطـةِ بـكلِّ منطقـةٍ ومجـالِ عمـلٍ، والكشـفِ عـن التحديـاتِ التـي يواجهُهـا الفاعلـونَ الثقافيـونَ، إضافـةً إلى تحليـلِ أشـكالِ التهميـشِ التـي تتعـرضُ لهـا المجتمعـاتُ المسـتهدفةُ وربطِهـا بالسـياقِ العـامِّ والمرحلـةِ التـي تمـرُّ بهـا سوريا اليومَ.

جُمعـتِ البيانـاتُ مـن خـلالِ اسـتبيانٍ شـارَكَ فيـه نحـوَ خمسـينَ فاعـلًا ثقافيًّـا، يمثِّلـونَ مؤسَّسـاتٍ ومجموعـاتٍ وأفـرادًا. ويمتـدُّ تاريـخُ بـدءِ نشـاطِ المشـاركينَ بـينَ عامـي 1994 و2025، متوزِّعـينَ عـلى معظـمِ الجغرافيـا السـوريةِ، مـا يوفِّـرُ نطاقًـا زمنيًّـا ومكانيًّـا واسعًا يساعدُ في فهمِ التطورِ التاريخيِّ للسياقِ الثقافيِّ، وتحليلِ ضروراتِ ودوافعِ كلِّ مرحلةٍ عندَ الإمكانِ.

خَريطةُ المُؤَسَّساتِ والمَجموعاتِ والأَفرادِ المُشارِكينَ في الاستِبيانِ

إثْرَ سقوطِ نظامِ الأسدِ في سوريا نهايةَ عامِ 2024، وكلِّ ما يعنيه ذلك من تغييراتٍ هائلةٍ على مختلفِ الأصعدةِ، اغتنمَ فريقُ مؤسسةِ "العمل للأمل" الفرصةَ الاستثنائيةَ للقدومِ إلى سوريا، وهو أمرٌ لم يكنْ متاحاً من قبلُ بسببِ المخاوفِ والمحاذيرِ الأمنيةِ. وبمساعدةِ الباحثة زينة شهلا، تمَّ اللقاءُ مع في البدايةِ أكثرَ من 35 مبادرةً مدنيةً وثقافيةً متنوعةً في كلٍّ من دمشقَ وريفِ دمشقَ والسويداءِ وحماةَ وريفِها وحلبَ وحمصَ، تعملُ على قطاعاتِ الفنونِ والثقافةِ إلى جانبِ قضايا أخرى منها السلمُ الأهليُّ والتماسكُ المجتمعيُّ، خاصةً في المناطقِ التي تقعُ خارجَ المراكزِ والمدنِ الرئيسيةِ. كانتْ تلكَ الزيارةُ مهمةً ومفيدةً لالتقاطِ ملامحَ مبدئيةٍ من المشهدِ الثقافيِّ داخلَ سوريا عن قربٍ، وهو في طورِ التحولِ وحتى التشكّلِ بعدَ التغيرِ الكبيرِ بسقوطِ نظامِ الأسدِ.

بعدَ ذلك برزتِ الحاجةُ للوصولِ لشريحةٍ أوسعَ من المبادراتِ والفاعلينَ الثقافينَ في مختلفِ أنحاءِ سوريا، لفهمٍ أعمقَ للمشهدِ الثقافيِّ خاصةً في المجتمعاتِ المهمشةِ، معَ التركيزِ على المجموعاتِ والأفرادِ التي تسعى لربطِ العملِ المدنيِّ والثقافةِ سواءً بشكلٍ مباشرٍ أو غيرِ مباشرٍ معَ مسارِ السلمِ والعدالةِ في سوريا، مهما اختلفتْ أوجهُ وأدواتُ هذا الربطِ، وهو مسارٌ باتَ يشغلُ حيزاً من اهتمامِ كثيرٍ من الفاعلينَ داخلَ سوريا بعدَ سقوطِ النظامِ. ولا نعني بالثقافةِ هنا فقط الأنشطةَ الثقافيةَ والإبداعيةَ والنتاجَ الثقافيَّ مثلَ الموسيقى والكتابةِ وغيرها، وإنَّما الثقافةُ كمجالٍ للتبادلِ والتفاعلِ والتواصلِ والتنميةِ وتقريبِ وجهاتِ النظرِ وترسيخِ الشعورِ الجماعيِّ بالانتماءِ.

وبذلك، تمَّ دمجُ المعرفةِ الموجودةِ لدى الفريقِ معَ استبيانٍ يسهّلُ الوصولَ لكثيرٍ من المناطقِ على امتدادِ سوريا. من خلالِ الاستبيانِ، وأيضاً بعضِ الزياراتِ الميدانيةِ، والتي أُجريتْ خلالَ عامِ 2025، تمَّ استهدافُ 52 مؤسسةً ومجموعةً ومبادرةً (جماعيةً وفرديةً)، تعملُ في معظمِ المحافظاتِ والمناطقِ السوريةِ.

وقد تمَّ التركيزُ على المجموعاتِ والمبادراتِ المدنيةِ والثقافيةِ التي تعرّفُ نفسها بأنها عاملةٌ في مجالِ الثقافةِ والسلمِ الأهليِّ بشكلٍ مباشرٍ، أو التي تعملُ على مجالاتٍ ثقافيةٍ محددةٍ وتسعى لتحقيقِ أهدافٍ متعلقةٍ بالتماسكِ المجتمعيِّ من خلالِ تلكَ المجالاتِ حتى لو بشكلٍ غيرِ صريحٍ، أو التي تعملُ بمجالِ السلمِ الأهليِّ والتماسكِ المجتمعيِّ تحديداً، بأدواتٍ مختلفةٍ منها الأدواتُ الثقافيةُ. وتمَّ التركيزُ بشكلٍ خاصٍّ على مجالاتِ التراثِ الماديِّ وغيرِ الماديِّ لكونها من الأدواتِ المهمةِ والفعالةِ في مساراتِ السلامِ والتماسكِ عموماً.

وكانَ الهدفُ هو الوصولُ لأكبرِ مجموعةٍ ممكنةٍ من المبادراتِ خاصةً في المناطقِ الخارجةِ عن مراكزِ المحافظاتِ والمدنِ الأساسيةِ، والتي تعملُ على مساراتٍ مدنيةٍ وثقافيةٍ متجاورةٍ، بنسبٍ متفاوتةٍ وبطرقٍ متنوعةٍ جداً، ولا تنظرُ إلى الثقافةِ بوصفِها مساراً منفصلاً عن الأحوالِ السياسيةِ والاجتماعيةِ والاقتصاديةِ، بل يرى القائمونَ عليها بأنَّ عليهم بأن يكونوا من خلالِ نشاطِهم في صلبِ التحولاتِ التي عاشتها وتعيشُها البلادُ حالياً، وبأنَّ من مكوناتِ رسالتِهم الأساسيةِ التغييرَ والبناءَ والعملَ معَ المجتمعاتِ المستهدفةِ عن قربٍ.

ولا تدّعي هذهِ الورقةُ البحثيةُ الوصولَ لكلِّ هذهِ المجموعاتِ والمبادراتِ، لكنْ من خلالِ الخبرةِ الميدانيةِ والتشبيكِ معَ كثيرٍ من الفاعلينَ، نرى بأننا استطعنا تشميلَ عددٍ كبيرٍ منها.

يبينُ الجدولُ التالي المجموعاتِ المستهدفةَ ضمنَ الورقةِ البحثيةِ، وقد رتبناها ضمنَ الجدولِ وفقاً للمحافظاتِ، معَ البدءِ بتلكَ التي تضمُّ العددَ الأكبرَ، تنازلياً. ويشملُ عددُ الأفرادِ ضمنَ الجدولِ، فريقَ العملِ وأعضاءَ المؤسسةِ، وفي بعضِ الأحيانِ المشاركينَ الدوريينَ في الأنشطةِ:

اسم المجموعة أو الكيان أو المؤسسة	عدد الأفراد	تاريخ بداية العمل	المحافظة	مجال العمل
جمعية النهضة الفنية	25	2006	دمشق	ثقافي وفني
كورال غاردينيا النسائي (جمعية تناغم غاردينيا)	23	2016	دمشق	الموسيقى وفنون الأداء
مشروع مراية المسرحي	4	2017	دمشق	الفنون الأدائية والمسرح الوثائقي وحفظ التراث الشفوي اللامادي، مع تركيز على المسرح التفاعلي والعلاج بالدراما وفنون الحكي
بلدنا ثروتنا	+200	2019	دمشق	تشجيع السياحة الريفية التنموية
المجموعة اللاعنفي السورية	22	2024	دمشق	اللاعنف
شبكة نول للسلم الأهلي	30 شخص + 15 منظمة + فرق تطوعية	2025	دمشق	السلم الأهلي
إيبلا - دار الفنون والثقافة	10	2025	دمشق	الفنون والثقافة بمفهومها الواسع كأداة لحفظ السردية
منظمة دار للسلام والازدهار	29	2015	حلب	تعزيز السلام والتماسك المجتمعي والتنمية الشامل والمرونة المجتمعية في البيئات الهشة وما بعد النزاع
مسارات إبدالية	18	2017	حلب	برامج التمكين والسلم الأهلي والمجتمعي للنساء واليافعات. برنامج للناجيات وأسر المفقودين التي تقودها امرأة.
فريق غصن التنموي	19	2018	حلب	المواطنة والتماسك المجتمعي، الحماية والعدالة الاجتماعية، الرياضة والفنون، التنمية البيئية، التمكين وبناء القدرات
دار ورشة للصناعة الثقافية	14	2019	حلب	- الإنتاج الفني ونادي سينما - إدارة وتنظيم المشاريع والفعاليات الثقافية - دعم وتمكين الفرق الثقافية والشبابية - توثيق التراث السوري المادي وغير المادي

بادر للتنمية المجتمعية	12	2022	حلب	الثقافة والفنون - التنمية - الحقوق والمناصرة
كراسي كولّيكتف	5	2022	حلب	تمكين المجتمع الإبداعي عبر النشاطات والفعاليات وورشات العمل في مختلف المجالات الفنية
مشروع باي ديفولت	5	2023	حلب	إنتاج معارض ثقافية وإتاحة مساحة للفنانين المحليين
شباب الغد السوري SYT	15	2012	ريف دمشق	صحة - تنمية - تعليم
خيوط الأمل - أغباني	20	2013	ريف دمشق	إنتاج مطرزات الأغباني ودعم النساء العاملات في هذا المجال
مؤسسة مَوج التنموية	25	2014	ريف دمشق	دعم التعددية والتماسك المجتمعي، وتعزيز مشاركة المرأة في الحياة العامة، وتبني وإنتاج إعلام حساس للنوع الاجتماعي
سما للأعمال اليدوية	20	2014	ريف دمشق	إنتاج أعمال فنية يدوية من السيدات بتصاميم خاصة ومبتكرة (كروشيه - خياطة وغيرها)
نادي سينما جرمانا	5	2019	ريف دمشق	عرض ونقاش أفلام سينمائية
فريق عِنبنا	12	2025	ريف دمشق	رفع الوعي السياسي، مناهضة خطاب الكراهية، بناء السلام
ماهر رومية (عمل فردي مع عدة مجموعات)	من 4 إلى 40	2013	حمص	موسيقي
ملتقى هارموني الثقافي	22	2018	حمص	بناء السلام من خلال الفن - تمكين الشباب
فريق حبق	25	2021	حمص	المسرح التفاعلي
جمعية عاصمة السلام	15	2024	حمص	التعليم والتمكين - الدفاع عن الحقوق - الخدمات الاجتماعية الثقافة والفنون

مجتمع حمص السينمائي	7	2025	حمص	السينما
رابطة التنمية الريفية	22	2015	إدلب	إنعاش الريف من خلال تمكين المرأة والشباب وحماية التراث
جمعية بارقة أمل النسائية	11	2015	إدلب	حماية (تمكين نساء) وبناء سلام
فنون البيت الدمشقي	6	2016	إدلب	تطريز وشرقيات دمشقية تراثية
مارونا	15	2018	إدلب	بناء السلام والتماسك المجتمعي
مركز دعم وتمكين المرأة	20	2025	إدلب	دعم وتمكين نساء
فرقة بارمايا للفلكلور السرياني	70	1994	الحسكة	الفلكلور والفنون السريانية والكوردية والعربية
الجمعية الثقافية السريانية في سوريا	بكل فرعية يوجد اداريين ومدربين قامشلي - حسكة قحطانية - دمشق	2008	الحسكة	ثقافي وحقوقي
مالفا للفنون والثقافة	6	2020	الحسكة	الفنون والثقافة
جمعية Yekpar للثقافة والفن	37	2020	الحسكة	مختلف أنواع الفنون - دعم النساء والأطفال عن طريق الفن
تدمرتو للتنمية والتماسك المجتمعي	7	2021	الحسكة	الثقافة - توثيق التراث المادي واللامادي - تنمية قدرات - الدفاع عن الفئات المهمشة سيما الأقليات العرقية والدينية
مشغل نايا	30	2014	السويداء	أشغال يدوية (تطريز - كروشيه تريكو)
منظمة فجّة خرق	25	2017	السويداء	صناعة البساط التقليدي من بقايا الاقمشة

مركز أداد للبحوث والدراسات المتعلقة بقضايا المرأة والشباب	30	2018	السويداء	دراسات وأبحاث
فريق الغصن العتيق	15	2018	السويداء	مشغولات يدوية عصرية وتراثية وأعمال فنية
مؤسسة جوى	20	2013	حماه	المواطنة القائمة على الحقيقة التماسك المجتمعي- الحفاظ على الهوية السورية
مبادرة ولفي لدعم الحرف	10	2020	حماه	إنعاش حرف حموية معرضة لخطر التلاشي
كفوة	19	2025	حماه	نواة تغيير نحو مجتمع عادل وتضميني، بقيادة النساء لتعزيز دور المرأة، المدني و السياسي في بناء سوريا الجديدة
بيت سوري للفنون	150	2025	حماه	الفن التشكيلي
مبادرة فردية (محمد المسالمة)		2015	درعا	الأفلام الوثائقية - فعاليات التبادل الثقافي
شبكة نول للسلم الأهلي (أحد أجزاء الشبكة الأساسية)	35	2016	درعا	السلم الأهلي تقديم مساعدات إنسانية تطوير وتعزيز الدور الشبابي في الحياة العامة تعزيز السلام والاستقرار وبناء قدرات المجتمعات المحلية وتمكينها
أركان للتنمية	11	2021	درعا	التنمية في المجتمعات الريفية
See My Raqqa	2	2017	الرقة	التراث الثقافي
بالون	10-12	2019	الرقة	الحماية - التماسك المجتمعي بناء السلام
مؤسسة إنصاف للتنمية	145	2019	دير الزور	تنمية وإسكان - ثقافة وفنون - بيئة

ديرغراف	1	2019	دير الزور	حفظ التراث اللامادي لمحافظة ديرالزور
جمعية سوق الضيعة	75	2011	اللاذقية	التمكين الاقتصادي للنساء الريفيات الأشد حاجة التمكين الاجتماعي لكافة شرائح المجتمع البيئة والاستدامة المحافظة على الحرف اليدوية التراثية
جمعية أصدقاء الموسيقا - كورال أرجوان	+300	2015	طرطوس	إدخال الموسيقى إلى ثقافةالمجتمع وحياته والارتقاء به بواسطة الموسيقا والفنون، وبشكل رئيسي عبر الكورال

الجدولُ 1 - قائمة المُشارِكينَ في الاستِبيانِ

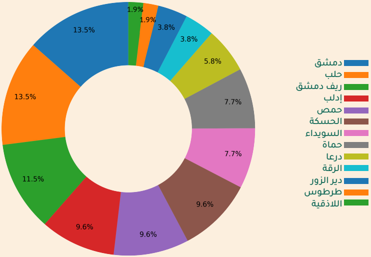

الشكل 1 - نسبة توزع المجموعات المشاركة في الاستبيان حسب المحافظات السورية

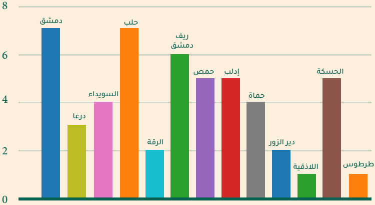

الشكل 2 - أعداد المجموعات المشاركة في الاستبيان حسب المحافظات السورية

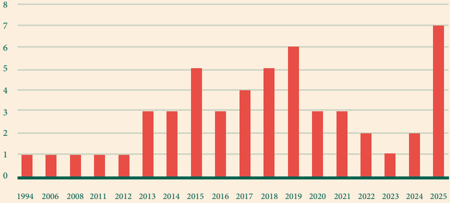

الشكل 3 - أعداد المجموعات المشاركة في الاستبيان حسب عام التأسيس

2 مَجالاتُ العَمَلِ الأساسِيَّةُ

سَعَيْنا في هذهِ الورقةِ لاستهدافِ المجموعاتِ التي تعملُ على مجالٍ ثقافيٍّ أو مجالٍ مدنيٍّ يستخدمُ الأدواتِ الثقافيةَ بمستوىً من المستوياتِ.

ويمكنُ تقسيمُ مجالاتِ عملِ المشاركينَ في الاستبيانِ كالتالي، معَ العلمِ بأنَّ معظمَ المجموعاتِ يمكنُ أن تعملَ ضمنَ أكثرَ من مجالٍ، وبأنَّ درجةَ العملِ ضمنَ مجالٍ واحدٍ وحتى أيٍّ مجالٍ فرعيٍّ مختلفةٌ ومتفاوتةٌ، لكنْ رأينا بأنَّه يمكنُ استخلاصُ التصنيفاتِ التاليةِ:

1. الثَّقافَةُ عُموماً، وحِفظُ التُّراثِ ودَعْمُ الحِرَفِ التَّقليديَّةِ

استَطعْنا تَصنيفَ الأدَواتِ والبرامجِ التاليةِ التي استخدمتها المجموعاتُ قيدَ الاستبيانِ للعملِ على الثقافةِ وعموماً وحفظِ التراثِ سواءَ الماديِّ أو غيرِ الماديِّ:

- التوثيقُ والتوثيقُ الرقميُّ، وتسليطُ الضوءِ على عناصرَ معينةٍ من التراثِ على اختلافِ هذهِ العناصرِ سواءً كانتْ ماديةً أو غيرَ ماديةٍ أو حتى متعلقةً بالبيئةِ المحليةِ ؛ (مجموعةُ ديرِ غراف، See My Raqqa، مشروعُ مصطبةَ من مؤسسةِ موجِ التنمويةِ، مؤسسةُ أركان للتنمية، مؤسسة بادر للتنميةِ المجتمعية، مركزُ مارونا، جمعيةُ عاصمةِ السلامِ، مبادرةٌ فرديةٌ في درعا، بيتُ سوريٍّ للفنونِ، منظمةُ بالون، مؤسسةُ جوى، جمعيةُ سوقِ الضيعةِ، جمعيةُ بارقةِ أملٍ النسائيةِ، مشروعُ مرايةَ المسرحيُّ، مالفا للفنونِ والثقافةِ، دارُ ورشةَ للصناعةِ الثقافيةِ، منظمةُ تدمرتو للتنميةِ والتماسكِ المجتمعيِّ، الجمعيةُ الثقافيةُ السريانيةُ في سوريا، منظمةُ شبابِ الغدِ السوريِّ، مشروعُ باي ديفولت، جمعيةُ يكبارَ للثقافةِ والفنِّ، مجموعةُ سما للأعمالِ اليدويةِ، فريقُ غصنٍ التنمويُّ).
- الحفاظُ على الحرفِ التقليديةِ (منظمةُ فجةَ خرق، مبادرةُ ولفي لدعمِ الحرفِ، مركزُ دعمِ وتمكينِ المرأةِ، مشروعُ خيوطِ الأملِ - أغباني، جمعيةُ سوقِ الضيعةِ، مشغلُ نايا، فريقُ الغصنِ العتيقِ، مجموعةُ سما للأعمالِ اليدويةِ، فنونُ البيتِ الدمشقيِّ).
- استخدامُ أدواتِ البودكاستِ والمعارضِ والحفلاتِ الفنيةِ والأفلامِ والندواتِ والمهرجاناتِ لتوثيقِ التراثِ والتوعيةِ بأهميتهِ (كورالُ غاردينيا، مؤسسة بادر للتنمية المجتمعية، مشروعُ مصطبةَ من مؤسسةِ موجِ التنمويةِ، مؤسسةُ كفوة، بيتُ سوريٍّ للفنونِ، جمعيةُ يكبارَ للثقافةِ والفنِّ، فرقةُ بارمايا للفلكلورِ السريانيِّ، منظمةُ مساراتِ إبدالية، جمعيةُ أصدقاءِ الموسيقا - كورالُ أرجوان).
- إحياءُ الحرفِ اليدويةِ ودعمُ استمرارِها وتطويرِها، وتحويلُها إلى مصدرِ دخلٍ لحاملي هذا التراثِ (منظمةُ فجةَ خرق، مؤسسةُ أركانَ للتنميةِ، مبادرةُ ولفي لدعمِ الحرفِ، ملتقى هارموني الثقافيِّ، جمعيةُ سوقِ الضيعةِ، مالفا للفنونِ والثقافةِ).
- تدريبُ اليافعينَ والأطفالِ على بعضِ العناصرِ التراثيةِ (مؤسسةُ بادرَ للتنميةِ المجتمعيةِ، الجمعيةُ الثقافيةُ السريانيةُ في سوريا).
- توظيفُ الفنونِ والثقافةِ في حفظِ السردياتِ (إيبلا - دارُ الفنونِ والثقافةِ، منظمةُ بالون، مشروعُ مرايةَ المسرحيُّ، فريقُ عِنبنا، منظمةُ مساراتِ إبدالية).
- حمايةُ التراثِ الماديِّ (رابطةُ التنميةِ الريفيةِ).
- الإنتاجُ الثقافيُّ على اختلافِه من موسيقى وسينما وغيرِها (كورالُ غاردينيا، مشروعُ مرايةَ المسرحيُّ، دارُ ورشةَ للصناعةِ الثقافيةِ).
- إنتاجُ أوراقٍ بحثيةٍ حولَ التراثِ (مالفا للفنونِ والثقافةِ).
- جولاتٌ ثقافيةٌ للمناطقِ المهمشةِ (دارُ ورشةَ للصناعةِ الثقافيةِ، مجموعةُ بلدنا ثروتنا).
- تحويلُ التراثِ السوريِّ الماديِّ وغيرِ الماديِّ إلى مناهجَ تدريبيةٍ طويلةِ المدى (دارُ ورشةَ للصناعةِ الثقافيةِ).

2. السِّلْمُ الأهليُّ والتَّماسُكُ المُجتَمَعيُّ بأدواتٍ ثَقافيّةٍ أو غيرَ ثقافيّةٍ

استطعنا تصنيفَ الأدواتِ والبرامجِ التاليةِ التي استخدمتها المجموعاتُ قيدَ الاستبيانِ للعملِ على محاورِ السلمِ الأهليِّ والتماسكِ المجتمعيِّ:

- الحواراتُ واللقاءاتُ على اختلافِ أشكالِها وأهدافِها، والجلساتُ التدريبيةُ خاصةً بينَ مناطقٍ تعيشُ حساسياتٍ على مستوياتٍ مختلفةٍ، والتعريفُ بالخصوصياتِ الثقافيةِ، وجلساتُ الإصغاءِ (شبكةُ نولٍ للسلمِ الأهليِّ، مؤسسةُ أركانَ للتنميةِ، منظمةُ فجةَ خرق، مؤسسةُ بادرَ للتنميةِ المجتمعيةِ، جمعيةُ النهضةِ الفنيةِ ومبادرةُ بدايتنا، مجتمعُ حمصَ السينمائيِّ، مركزُ مارونا، إيبلا - دارُ الفنونِ والثقافةِ، مؤسسةُ كفوة، مؤسسةُ جوى، مجموعةُ كراسي كولكتف، جمعيةُ سوقِ الضيعةِ، مالفا للفنونِ والثقافةِ، منظمةُ شبابِ الغدِ السوريِّ، المجموعةُ اللاعنفيةُ السوريةُ، فريقُ عِنبنا، فريقُ غصنِ التنمويِّ).
- إحياءُ وتسليطُ الضوءِ على التراثِ الماديِّ واللاماديِّ كمدخلٍ نحوَ التماسكِ المجتمعيِّ (مؤسسةُ موجِ التنمويةِ، مركزُ آدادَ للبحوثِ، منظمةُ دارٍ للسلامِ والازدهارِ، مؤسسةُ أركانَ للتنميةِ، مركزُ دعمِ وتمكينِ المرأةِ، مبادرةُ ولفي لدعمِ الحرفِ، مبادرةُ ديرغراف، جمعيةُ يكبارَ للثقافةِ والفنِّ).
- توظيفُ الفنِّ والتراثِ بمختلفِ المجالاتِ والمستوياتِ، لبناءِ الجسورِ والترويجِ لقيمِ السلمِ والتماسكِ المجتمعيِّ، والعملِ معَ المجموعاتِ المهمشةِ (كورالُ غاردينيا، ملتقى هارموني الثقافيِّ، مجتمعُ حمصَ السينمائيِّ، مركزُ مارونا، مؤسسةُ إنصافٍ للتنميةِ، مجموعةُ كراسي كولكتف، مشروعُ مرايةَ المسرحيُّ، دارُ ورشةَ للصناعةِ الثقافيةِ، فرقةُ بارمايا للفلكلورِ السريانيِّ، الجمعيةُ الثقافيةُ السريانيةُ في سوريا، جمعيةُ يكبارَ للثقافةِ والفنِّ، نادي سينما جرمانا، جمعيةُ أصدقاءِ الموسيقا - كورالُ أرجوان، فريقُ حبق).
- إحياءُ التراثِ المشتركِ بينَ مناطقَ متجاورةٍ والبحثِ عن المشتركاتِ في التراثِ مثلَ العاداتِ الاجتماعيةِ والتركيزِ على التراثِ كقيمةٍ جامعةٍ (منظمةُ فجةَ خرق ومؤسسةُ أركانَ للتنميةِ، مركزُ دعمِ وتمكينِ المرأةِ، جمعيةُ سوقِ الضيعةِ، دارُ ورشةَ للصناعةِ الثقافيةِ).
- التوعيةُ وبرامجُ المصالحةِ وإعادةُ النازحينَ (شبكةُ نولٍ للسلمِ الأهليِّ).
- دراساتٌ وأبحاثٌ لدراسةِ وتحليلِ الواقعِ بما يخدمُ السلمَ الأهليَّ وبناءَ السلامِ المجتمعيِّ (مركزُ أداد للبحوثِ والدراساتِ).
- تنظيمُ فعاليّاتٍ فنيةٍ للفئاتِ المهمشةِ (مركزُ أدادَ للبحوثِ والدراساتِ).
- تمكينُ النساءِ والشبابِ والمجتمعاتِ المُهمّشةِ من القيادةِ والعملِ معَ مشاريعَ تربطُ بينَ المناطقِ السوريةِ المختلفةِ وتنميةِ مهاراتِ الحوارِ والتفاوضِ وتعزيزِ ثقافةِ اللاعنفِ (منظمةُ دارٍ للسلامِ والازدهارِ، منظمةُ تدمرتو للتنميةِ والتماسكِ المجتمعيِّ، المجموعةُ اللاعنفيةُ السوريةُ).
- نشرُ ثقافةِ اللّاعنفِ بينَ الأطفالِ بطرقٍ مختلفةٍ (منظَّمةُ بالون).
- إنتاجُ محتوىً إعلاميٍّ أو فنيٍّ يساهمُ في تعزيزِ التعايشِ السلميِّ ومناهضةِ خطابِ الكراهيةِ وبناءِ السلامِ (مؤسسةُ إنصافٍ للتنميةِ، المجموعةُ اللاعنفيةُ السوريةُ).
- برامجُ تنميةٍ وتعليمٍ في مجتمعاتٍ مهمشةٍ مما يعززُ العدالةَ ويقللُ من التوتراتِ المجتمعيةِ (جمعيةُ بارقةِ أملٍ النسائيةِ).
- تشكيلُ لجانٍ حمايةٍ مدنيةٍ تعملُ على تعزيزِ التواصلِ بينَ السكانِ والاستجابةِ الجماعيةِ لحلِّ المشكلاتِ المحليةِ (منظمةُ تدمرتو للتنميةِ والتماسكِ المجتمعيِّ).
- توزيعُ مساعداتٍ إنسانيةٍ أو أشكالٍ أخرى من الدعمِ على المجتمعاتِ المهمشةِ أو بينَ مجتمعاتٍ مختلفةٍ ومتباينةٍ (مشغلُ نايا، مجموعةُ سما للأعمالِ اليدويةِ).

3. دَعْمُ وتَمكينُ النِّساءِ والشَّبابِ

مِنْ خلالِ:

- تعليمِ النساءِ حِرَفاً معيَّنةً، ولاسيَّما الحِرَفُ التقليديَّةُ (منظمةُ فجةَ خرق، مشروعُ خيوطِ الأملِ - أغباني، رابطةُ التنميةِ الريفيةِ، جمعيةُ سوقِ الضيعةِ، مالفا للفنونِ والثقافةِ، مشغلُ نايا، مجموعةُ سما للأعمالِ اليدويةِ).
- مبادراتِ الشبابِ والنساءِ التي تركزُ على بناءِ قياداتٍ مجتمعيةٍ تساهمُ في نشرِ مبادئِ السلمِ والأمنِ المحليِّ (شبكةُ نولٍ للسلمِ الأهليِّ، ومنظمةُ دارٍ للسلامِ والازدهارِ).
- التمكينِ المعرفيِّ والاقتصاديِّ للنساءِ بمجالاتٍ منها التراثُ والصناعاتُ التقليديةُ والإبداعيةُ (مركزُ دعمِ وتمكينِ المرأةِ، منظمةُ مساراتِ إبدالية).
- بناءِ جسورٍ بينَ النساءِ النازحاتِ والمقيماتِ والعملِ مع النساءِ الناجياتِ (مركزُ مارونا).
- تمكينِ النساءِ عموماً بمجالاتٍ مختلفةٍ (مؤسسةُ كفوة، جمعيةُ بارقةِ أملٍ النسائيةِ).
- دعمِ وتمكينِ الفرقِ الثقافيةِ الشبابيةِ (دارُ ورشةَ للصناعةِ الثقافيةِ).

4. التَّنمِيَةُ

تستهدفُ هذهِ البرامجُ والمشاريعُ عمومَ المجتمعِ أو فئاتٍ معينةٍ مثلَ النساءِ، أو الشبابِ، أو الفئاتِ المهمشةِ بسببِ الحربِ، أو المناطقِ التي يمكنُ أن تكونَ مهمشةً على أسسٍ مختلفةٍ، وتتضمنُ:

- دعمَ تنميةِ الأريافِ والمناطقِ المهمشةِ (مجموعةُ بلدنا ثروتنا).
- برامجَ تعليميةً للشبابِ واليافعينَ (مؤسسةُ أركانَ للتنميةِ)، وللنساءِ (منظمةُ فجةَ خرق).
- تنميةً متنوعةً للمجتمعاتِ المتضررةِ من الحربِ (مؤسسةُ إنصافٍ للتنميةِ).
- دعمَ أسواقٍ محلِّيةٍ في مناطقٍ ريفيةٍ (جمعيةُ سوقِ الضيعةِ).

الشَّرائحُ المُستَهدَفَةُ منْ هذهِ البَرامِجِ:

بشكلٍ عامٍّ، يُلاحظُ أنَّ البرامجَ السابقةَ كانتْ تستهدفُ شرائحَ مختلفةً من المجتمعِ، حيث تنقسمُ أحياناً إلى برامجَ عامةٍ وأحياناً أخرى إلى برامجَ موجهةٍ لفئاتٍ محددةٍ مثلَ الشبابِ، النساءِ، الأطفالِ والمراهقينَ، كبارِ السنِّ، الأشخاصِ ذوي الإعاقةِ، بالإضافةِ إلى ضحايا الحروبِ والناجينَ من مختلفِ أشكالِ الانتهاكاتِ (مثلَ عائلاتِ المفقودينَ، الناجينَ من السجونِ، والعائدينَ من النزوحِ)، فضلاً عن سكانِ المناطقِ الريفيةِ والمهمشةِ.

3 العَمَلُ معَ المُجتَمعاتِ المهمَّشةِ

تُعرِّفُ لجنةُ الاسكوا التَّهميشَ على أنَّهُ "حالةٌ وعمليةٌ تمنعُ الأفرادَ والجماعاتِ من المشاركةِ الكاملةِ في الحياةِ الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والحياةِ السياسيةِ التي يتمتعُ بها المجتمعُ الأوسعُ." وينتجُ التهميشُ عن عواملَ متعددةٍ تحرمُ الناسَ من الوصولِ والمشاركةِ في العديدِ من مجالاتِ الحياةِ العامةِ ومنها المجالاتُ الاجتماعيةُ والثقافيةُ والسياسيةُ وغيرها.

وفي السياقِ السوريٍّ، يتخطى التهميشُ الحالةَ ليصبحَ منهجيةَ حكمٍ متعمدةً، قائمةً على ضمانِ السيطرةِ على مراكزِ المدنِ الأساسيةِ وإهمالِ الأطرافِ، وهو أمرٌ أصبحَ أكثرَ وضوحاً بعد اندلاعِ الثورةِ السوريةِ عامَ 2011.

وتُصنِّفُ معظمُ المجموعاتِ والمبادراتِ المستهدفةِ من الاستبيانِ نفسَها بأنَّها تعملُ بشكلٍ أو بآخرَ مع مجتمعاتٍ مُهمَّشةٍ، على اختلافِ أسبابِ وأشكالِ هذا التَّهميشِ، وذلك من خلالِ برامجَ ثقافيةٍ/تراثيةٍ/فنيةٍ، أو تعليميةٍ ومعرفيةٍ، أو اقتصاديةٍ/تمكينيةٍ، أو إعلاميةٍ، أو حقوقيةٍ، أو برامجَ توعيةٍ، ودعمٍ نفسيٍّ اجتماعيٍّ، وحواراتٍ تستهدفُ دعمَ السلمِ الأهليٍّ، وغيرها. تشملُ هذه المجتمعاتُ المناطقَ الريفيةَ، والمدنَ المهمشةَ ثقافياً، وبعضَ الفئاتِ مثلَ البدوِ، والمجموعاتِ النازحةِ واللاجئةِ، وسكانَ المخيماتِ، والنساءَ، وذوي الإعاقةِ، والناجياتِ من الاعتقالِ، والعائلاتِ المتضررةِ من الحربِ، وصغارَ المنتجينَ، وغيرها.

أشكالُ وأسبابُ وتَجلِّياتُ التَّهميشِ في سوريا

مَرَّتْ سوريا منذُ الاستقلالِ عن الانتدابِ الفرنسيٍّ بمرحلةٍ سياسيةٍ اتَّسمَتْ بفترةٍ ديمقراطيةٍ ليبراليةٍ قصيرةٍ، تبِعتْها سلسِلةٌ من الانقلاباتِ العسكريةِ، ثمَّ الوحدةُ بين سوريا ومصرَ التي أسَّستْ لنظامِ الحكمِ المركزيِّ الشموليِّ، الذي ترسَّخَ مع انقلابِ 8 آذارَ عامَ 1963 ووصولِ حزبِ البعثِ العربيِّ الاشتراكيِّ للسلطةِ. تَميَّزَ حكمُ البعثِ الذي استمرَّ حتى نهايةِ 2024 بكونهِ حُكماً دكتاتورياً إقصائياً، اعتمَدَ بشكلٍ أساسيٍّ على سياساتِ القَمعِ السياسيٍّ والتَّفرقةِ، وأدخلَ المجتمعَ السوريَّ في حالةٍ من العزلةِ والجمودِ السياسيٍّ.

وقد هيمنَ غيابُ العدالةِ على السياساتِ بمجملها في سوريا، وعملَ نظامُ الحكمِ على الهيمنةِ على البلادِ من خلالِ آليّاتٍ مختلفةٍ منها:

- تقويضُ الفاعليةِ اللامركزيةِ، فعملتْ السياساتُ المركزيةُ على حصرِ السلطةِ والخدماتِ في دمشقَ والمدنِ الرئيسيةِ، ما أبعدَ المجتمعاتِ المحليةَ النائيةَ عن المركزِ عن المشاركةِ الحقيقيةِ بعمليةِ صنعِ القرارِ والتأثيرِ فيهِ، وحدَّ من قدرتها على التنظيمِ الذاتيِّ وتأسيسِ مبادراتٍ تنمويةٍ أو ثقافيةٍ مستقلةٍ، مما منعها من تحديدِ حاجياتها والمساهمةِ في صياغةِ مستقبلها.
- إنتاجُ الانقسامِ الاجتماعيٍّ، فاستخدمَ القمعُ السياسيُّ كأداةٍ لإنتاجِ التفرقةِ وتأكيدِ العزلِ من خلالِ سياساتِ تمييزٍ ممنهجٍ على أسسٍ مناطقيةٍ وهوياتيةٍ ودينيةٍ، بهدفِ إضعافِ الثقةِ المتبادلةِ داخلَ المجتمعِ وعزلِ مكوناتهِ عن بعضها. ساهمَ هذا التهميشُ الهوياتيُّ بتكريسِ الصورِ النمطيةِ وزادَ من هشاشةِ وعزلةِ المجتمعِ وهي أمورٌ تظهرُ نتائجها اليومَ بوضوحٍ. كما عززَ غيابُ العدالةِ وتراكمُ الصراعاتِ هذا الشرخَ بالمجتمع.
- إقصاءُ فئاتٍ واسعةٍ من المجتمعِ عن التعبيرِ الحرِّ عن نفسها، وتقويضُ مشاركتها في اتخاذِ وصناعةِ القرارِ والحدُّ من قدرتها على التأثيرِ ضمنَ الفضاءِ العامِّ.

بذلكَ، تتعدَّدُ أشكالُ التهميشِ في سوريا، وترتبطُ بمجموعةٍ من الأسبابِ التقاطعيةِ التي تتداخلُ فيما بينها، أو تؤثِّرُ بشكلٍ مستقلٍّ بحسبِ السياقِ. ويلعبُ الموقعُ الجغرافيُّ دوراً أساسيّاً في تحديدِ مستوياتِ التَّهميشِ، سواءٌ بينَ المدنِ الكبرى والمراكزِ الرئيسيةِ، أو المدنِ الأصغرِ، أو البلداتِ والقرى التي غالباً ما تعاني من الإقصاءِ على مستوى البرامجِ والخدماتِ والخططِ التنمويةِ. كما تؤثرُ الطبقةُ الاجتماعيةُ والانتماءاتُ السياسيةُ والدينيةُ، بما في ذلكَ الاختلافاتُ الطائفيةُ، في توزيعِ الفرَصِ وتشكيلِ تجاربِ الأفرادِ والمجموعاتِ العاملةِ بالمجالِ الثقافيِّ والمجتمعاتِ التي تنشطُ ضمنها. إلى جانبِ ذلكَ يشكِّلُ النوعُ الاجتماعيُّ عاملاً إضافيّاً فتواجهُ النساءُ أشكالاً متعدِّدةً من التَّهميشِ في المجتمعاتِ الذكوريةِ

التي تحدُّ من مشاركَتِهنَّ في الحياةِ الثقافيَّةِ والعامَّةِ، وتؤثرُ هذه التقاطعيّةُ على مستوياتِ التَّهميشِ، فتكونُ المرأةُ النازحةُ من الأريافِ أكثرَ هشاشةً من غيرِها من مكوِّناتِ المجتمعِ.

كما عمَّقتْ الحربُ والنزاعُ المسلحُ من التَّهميشِ الموجودِ أساساً، وأضافتْ طبقاتٍ جديدةً إليهِ، فتحوَّلتْ مناطقُ كاملةٌ إلى ساحاتِ قتالٍ، وتعرَّضتْ لدمارٍ شديدٍ طالَ الأبنيةَ السكنيةَ والبنى التحتيةَ، بالإضافةِ إلى موجاتِ النزوحِ وغيابٍ شبهِ كاملٍ للخدماتِ الأساسيَّةِ، ما أدّى بِشكلٍ مباشرٍ لارتِفاعِ نسَبِ الفقرِ وانعدامِ الاستقرارِ والأمانِ، وجعلَ المشاركةَ السياسيةَ أو الثقافيةَ أو الاجتماعيةَ شديدةَ الصعوبةِ. وتُبرِزُ بعضُ الإجاباتِ الأثرَ المضاعفَ لضعفِ التمثيلِ على فئاتٍ معينةٍ من المجتمعِ، فَيؤدّي غيابُ التمثيلِ العادلِ في مؤسَّساتِ الدولةِ وصُنعِ القرارِ إلى تراجُعِ قدرةِ هذه الفئاتِ، وتحديداً الأقلياتِ والنساءِ والفئاتِ الشابةِ، على الدِّفاعِ عن مصالحِها وحِمايةِ تُراثِها الثقافيِّ والمُشاركةِ الفاعلةِ في المجالِ العامِّ. كما أنَّ سنواتِ الحربِ والنزاعِ الطويلةَ، أدَّتْ إلى تفكُّكِ النسيجِ الاجتماعيِّ وأضعفتْ روحَ المبادرةِ والعملِ الجماعيِّ والثقةَ بينَ كثيرٍ من مكوناتِ المجتمعِ السوريِّ.

التَّهميشُ على أساسٍ جُغرافيٍّ

ظهرَ مصطلحُ "سوريا المفيدة" مع بدايةِ عامِ 2016 حينَ أطلقهُ الرئيسُ المخلوعُ بشارُ الأسدِ لوصفِ المناطقِ الاستراتيجيةِ بالنسبةِ للنظامِ مؤكِّداً الدفاعَ عنها بكلِّ ما يملكُ، وعدَّ المحافظاتِ الأخرى أقلَّ استراتيجيةً، ما سمحَ بإعطاءِ شرعيَّةٍ لإهمالِ المناطقِ خارجَ سيطرةِ النظامِ وزادَ في تعميقِ هشاشتها وإقصائها كونها "سوريا غير المفيدةِ". ورافقتْ هذا التقسيمَ خططٌ للتغييرِ الديمغرافيٍّ شملتْ عملياتِ التهجيرِ القسريِّ ، واستراتيجياتِ الحصارِ، وعقدَ اتِّفاقاتٍ لِترحيلِ فئاتٍ معيَّنةٍ منَ السُكّانِ إلى مناطقَ أخرى.[1]

لكنَّ هذهِ السِّياساتِ الإقصائيةَ تعودُ لِما قبلَ بَدءِ الثورةِ عامَ 2011، فيُعَدُّ التهميشُ الجغرافيُّ في السياقِ السوريِّ، أحدَ أبرزِ أشكالِ التهميشِ التي تعاني منها المجتمعاتُ المحليةُ. ويمكنُ التمييزُ هُنا بينَ مستويَيْنِ رئيسيَّينِ: الأوَّلُ مرتبطٌ بالبعدِ المكانيِّ عنِ العاصمةِ ومراكزِ المدنِ الكبرى، والثاني ناتجٌ عن آثارِ النِّزاعِ والدَّمارِ الواسعِ الذي أصابَ مناطقَ كاملةً.

فَعَلى المُستَوى الأوَّلِ، تُوضِّحُ إجاباتٌ عديدةٌ هيمنةَ المَركَزيَّةِ السياسيَّةِ والثقافيَّةِ لِنظامِ البَعثِ، الَّتي جعَلَتْ مِن دمشقَ مِحوَراً للمَواردِ والقَراراتِ والبرامجِ الثَّقافيَّةِ، مقابلَ إقصاءِ الأريافِ والمُدنِ الأُخرى وغيابِ خُطَطِ تَنميةٍ حقيقيَّةٍ وبرامجَ تَعليميَّةٍ وخدماتٍ مُواكبةٍ لَها. فـ"يتناسبُ مُستوى التَّهميشِ طرديّاً معَ البُعدِ عنِ العاصمةِ، أو مركزِ المُحافظةِ أو المَدينةِ" بِحَسبِ "بشر عيسى" من "جمعيَّةِ أصدقاءِ الموسيقا - كورالِ أرجوان" في طرطوس. وتُشيرُ ناديا حلمي، مؤسِّسةُ "بلدنا ثروتنا"، إلى أنَّ "كلَّ شيءٍ كانَ موجَّهًا عموماً نحوَ دمشقَ، ومعظمَ المحافظاتِ الأخرى كانتْ تشتكي حتى المدنِ الكبيرةِ، والريفُ كانَ مهمشًا أكثرَ، ومعظمُ البرامجِ التي تُوجَّهُ لهُ ليستْ حقيقيةً بل ربما أشبهَ بالقشورِ. إنَّ استمرارَ السياساتِ المركزيةِ سيعززُ تهميشَ المدنِ البعيدةِ والأطرافِ، وبالتالي يزيدُ من العزلةِ الاجتماعيةِ والثقافيةِ".
ويشيرُ نظامُ الأحمدِ من "شبكةِ نولٍ للسِّلمِ الأهليِّ" إلى أنَّ "نقصَ الموارِدِ والدعمِ وقلةَ التمويلِ والبنى التحتيةِ والخدماتِ الأساسيةِ أدّى إلى تهميشِ المجتمعاتِ ذاتِ المواقعِ النائيةِ أو التي تعاني من النزاعات".

أمّا المستوىُ الثانيُ فيرتبطُ بالتهميشِ الناتجِ عن الحربِ وما خلفتهُ من دمارٍ مكانيٍّ طالَ البنيةَ التحتيةَ والمنازلَ والأراضيَ الزراعيةَ، إلى جانبِ الحصارِ وشحِّ الموارِدِ أو انقطاعِها، ونسبِ النزوحِ المرتفعةِ التي أفقدتْ مناطقَ بأكملها قدرتَها على التعافي والمشاركةِ في الحياةِ الثقافيةِ. وتصفُ بعضُ الإجاباتِ أَحياءً باتتْ غيرَ قابلةٍ للسكنِ، ومجتمعاتٍ تحتاجُ إلى خططِ إعادةِ إعمارٍ دوليةٍ قبلَ أن تتمكنَ من استعادةِ دورِها في المجالِ العامِّ، وفئاتٍ مهجّرةٍ فقدتْ مقدراتِها الاقتصاديةِ وقدرتَها على المشاركةِ في أيِّ أنشطةٍ خارجَ نطاقِ أولوياتِ الحياةِ الأساسيةِ. ويتجلّى التهميشُ الجغرافيُّ هنا أيضاً في صعوبةِ وصولِ سكانِ المناطقِ الريفيةِ والنائيةِ إلى المعلوماتِ ومعاناتِهم من ضعفِ الخدماتِ وقلةِ المبادراتِ الثقافيةِ في محيطِهم.

---

[1] قطريب, حسين إبراهيم. «سوريا المفيدة» والتغيير الديموغرافي في سوريا." مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية, 2016, www.kfcris.com/ar/view/post/130. Accessed Dec. 2025.

ولا يقتصرُ هذا التهميشُ على المستويينِ الماديِّ والخدميِّ، بل يمتدُّ إلى بُعدٍ رمزيٍّ وتمثيليٍّ يتمثلُ في تغييبِ المدنِ البعيدةِ والمناطقِ الريفيةِ عن النقاشاتِ العامةِ وإبعادِها عن المجالِ العامِّ الثقافيِّ، كما هو الحالُ في الرقةِ وغيرِها من المدنِ التي انقطعتْ طويلاً عن التطوراتِ الثقافيةِ فوجدتْ نفسها خارجَ الاهتمامِ العامِّ بسببِ البعدِ الجغرافيِّ والظروفِ السياسيةِ المتغيرةِ التي مرّتْ بها مع وقوعِها تحتَ سيطرةِ سلطاتِ أمرٍ واقعٍ متعاقبةٍ، أو حصرِ هذه المناطقِ ضمنَ صورٍ نمطيةٍ مسيئةٍ وغيرِ حقيقيةٍ. "تعاني ديرُ الزورِ وهي بعيدةٌ عن العاصمةِ من سوءِ الخدماتِ، والتهميشِ الإعلاميِّ والاستخفافِ بقيمةِ أبنائها في بعضِ الأعمالِ الدراميةِ." — محمد وليد الذياب، مؤسِّسُ مبادرةِ "ديرغراف".

وبذلكَ يتكوّنُ التهميشُ الجغرافيُّ في سوريا من تداخلِ عواملِ البعدِ المكانيِّ والمركزيةِ السياسيةِ وآثارِ النزاعِ، ليؤدّيَ إلى تراجعِ فرصِ المشاركةِ الثقافيةِ والتنمويةِ في المناطقِ المتأثرةِ، ويكرِّسَ الفجوةَ بينَ المركزِ والأطرافِ ضمنَ بنيةِ تهميشٍ أشملَ تقودُها السياساتُ العامةُ.

التَّهميشُ على أساسٍ اجتِماعيٍّ/هَوِياتيٍّ

يمكنُ اعتبارُ التهميشِ على أساسٍ اجتماعيٍّ وهوياتيٍّ نتاجاً لسياساتٍ حكوميةٍ وممارساتٍ اجتماعيةٍ، ساهمتْ في تفكيكِ الروابطِ وغيابِ الثقةِ بينَ مكوناتِ المجتمعِ، وإضعافِ الشعورِ بالمواطنةِ. وتظهرُ نتائجُ الاستبيانِ أنَّ هذا النوعَ من التهميشِ يعتمدُ على عواملَ متعددةٍ من بينها الانتماءُ الدينيُّ أو القوميُّ، الخلفيةُ المناطقيةُ، الوضعُ الطبقيُّ، وتجاربُ النزوحِ والتهجيرِ. وتظهرُ الإجاباتُ أنَّ العواملَ الاجتماعيةَ والثقافيةَ، بما في ذلكَ التقاليدُ والأعرافُ، تلعبُ دوراً بارزاً في الحدِّ من مشاركةِ بعضِ فئاتِ المجتمعِ في الحياةِ المجتمعيةِ والسياسيةِ كالنساءِ والأقلياتِ. بينما تسهمُ الفروقاتُ الطبقيةُ في إنتاجِ توتراتٍ وصراعاتٍ كامنةٍ ضمنَ المجتمعاتِ المحليةِ. كما يبرزُ أثرُ تفككِ النسيجِ المجتمعيِّ نتيجةَ الصراعاتِ الطائفيةِ والمناطقيةِ التي تضعفُ الثقةَ المتبادلةَ، وتحدُّ من إمكانياتِ العملِ الجماعيِّ.

وفي ظلِّ المناخِ السياسيِّ الحاليِّ، ما زالتْ ثقافةُ الخوفِ من التغييرِ مسيطرةً، إلى جانبِ هيمنةِ الفكرِ التقليديِّ ونقصِ الوعي بالحقوقِ وأهميةِ المشاركةِ، ما يفرضُ أنماطاً محافظةً تحدُّ من حريةِ الشبابِ وقدرتِهم على الابتكارِ والمشاركةِ الفاعلةِ في الحياةِ العامةِ. وأشارتْ العديدُ من المبادراتِ إلى أنَّ الحربَ زادتْ من عزلةِ بعضِ المناطقِ والمجتمعاتِ التي وُصِمَتْ سياسياً كمعاديةٍ للنظامِ، ومن تهميشِ وهشاشةِ مجموعاتٍ معينةٍ من الفئاتِ المتضررةِ مثلَ النساءِ، وذوي المفقودينَ، والأطفالِ، وذوي الإعاقةِ، مع فقدانِ شبكاتِ الدعمِ الاجتماعيِّ وارتفاعِ مستوياتِ الفقرِ.

وتشيرُ نتائجُ الاستبيانِ إلى أنَّ المرحلةَ التي أعقبتْ سقوطَ نظامِ الأسدِ شهدتْ ظهورَ أنماطٍ جديدةٍ من التهميشِ والحاجاتِ المجتمعيةِ، الأمرَ الذي دفعَ إلى إنشاءِ كياناتٍ وتنظيماتٍ محليةٍ جديدةٍ كاستجابةٍ مباشرةٍ وضروريةٍ فرضتْها أشكالُ الإقصاءِ الجديدةِ التي تتقاطعُ مع أنماطِ التهميشِ القديمةِ، ولكنْ ضمنَ شروطٍ وسياقاتٍ مختلفةٍ. يعكسُ هذا التهميشُ بالنتيجةِ بنيةً مركبةً تعيدُ إنتاجَ العزلةِ والانقسامِ، وفي الوقتِ نفسهِ تفتحُ المجالَ أمامَ محاولاتِ إعادةِ التنظيمِ من داخلِ المجتمعاتِ نفسها.

التَّهميشُ المُرتَبِطُ بالنَّوعِ الاجتِماعيِّ (الجندَر)

يظهرُ التهميشُ المرتبطُ بالنوعِ الاجتماعيِّ بوصفهِ أحدَ أكثرِ أشكالِ التهميشِ انتشاراً ضمنَ المجتمعاتِ السوريةِ، فتشيرُ إجاباتُ المشاركينَ إلى أنَّ النساءَ يتعرضنَ لتمييزٍ مضاعفٍ يتقاطعُ مع الطبقةِ والانتماءِ الجغرافيِّ والوضعِ السياسيِّ والاجتماعيِّ، سواءً في المناطقِ الطرفيةِ أو المركزيةِ. وتوضحُ نتائجُ الاستبيانِ أنهُ في المجتمعاتِ ذاتِ البنيةِ الذكوريةِ التقليديةِ، يُنظرُ إلى النساءِ بوصفِهنَّ فئةً أقلَّ قدرةً على المشاركةِ في الحياةِ العامةِ، ما يحدُّ من فرصِهنَّ في العملِ والتعليمِ والانخراطِ في الأنشطةِ الثقافيةِ، ويضعفُ تمثيلَهنَّ في مختلفِ مراكزِ صنعِ القرارِ والفاعليةِ.

وتتفاقمُ هذهِ الهشاشةُ في سياقاتِ النزوحِ القسريِّ، إذ واجهتْ النساءُ الوافداتُ لمناطقَ جديدةٍ طبقاتٍ إضافيةً من التهميشِ نتيجةَ صعوبةِ الاندماجِ في المجتمعاتِ المضيفةِ، وغيابِ شبكاتِ الدعمِ الاجتماعيِّ. كما تتعرضُ فئاتٌ محددةٌ من النساءِ مثلَ الناجياتِ من الاعتقالِ أو النساءِ كبيراتِ السنِّ لوصمةٍ اجتماعيةٍ تزيدُ من هشاشتهنَّ وتحدُّ من قدرتِهنَّ على المشاركةِ الثقافيةِ والمجتمعيةِ.

وفي المناطقِ الريفيةِ، يتفاقمُ التهميشُ الجندريُّ بفعلِ الأعرافِ الاجتماعيةِ التي تحصرُ النساءَ في أدوارٍ محدودةٍ وتمنعُهنَّ من العملِ أو المشاركةِ في الحياةِ العامةِ. وتشيرُ إحدى الإجاباتِ أنَّ غيابَ البنى التحتيةِ الثقافيةِ، وقلةَ البرامجِ المخصصةِ للنساءِ أو للأطفالِ الفقراءِ، أدى إلى حرمانِ أجيالٍ كاملةٍ من الوصولِ إلى الفنونِ والبرامجِ الموسيقيةِ، في ظلِّ نقصِ التمويلِ وتسربِ الخبراتِ من المؤسساتِ الثقافيةِ خلالَ السنواتِ الماضيةِ.

إنَّ تقاطعَ التهميشِ الجندريِّ مع جميعِ أنماطِ التهميشِ الأخرى، الاقتصاديةِ والسياسيةِ والاجتماعيةِ والثقافيةِ، يجعلهُ أحدَ أكثرِ أشكالِ الإقصاءِ تعقيداً وتأثيراً على قدرةِ النساءِ على ممارسةِ دورِهنَّ في الفضاءِ العامِّ.

تَجَلِّياتُ التَّهميشِ على المُستوَيَيْنِ الاقتصاديِّ والخِدميِّ

ظلَّ الاقتصادُ السوريُّ يحملُ شعارَ "الاشتراكيةِ المخططةِ" دستورياً حتى عامِ 2012، لكنَّ التطبيقَ العمليَّ لنظامِ البعثِ اتسمَ بالازدواجيةِ، فمالتْ السياساتُ تدريجياً نحوَ الليبراليةِ خاصةً بعدَ 1990، ثم تبنّتْ "اقتصادَ السوقِ الاجتماعيِّ" منذ عامِ 2005. ولكنَّ هذه التحولاتِ لم تُساهِمْ في تحقيقِ العدالةِ الاجتماعيةِ، بل أدّتْ، وبشكلٍ ممنهجٍ، إلى تراكمِ الثرواتِ وتعميقِ التفاوتِ والتهميشِ الاقتصاديِّ لصالحِ النخبةِ الحاكمةِ وسيطرةِ فئاتٍ محددةٍ على المواردِ، ونتجَ عن ذلك تآكلٌ تدريجيٌّ للطبقةِ الوسطى.

وبعدَ عامِ 2011، انتقلَ النظامُ في سياستهِ الماليةِ والنقديةِ إلى "اقتصادِ الحربِ"، مستغلاً تدهورَ الاقتصادِ لتعزيزِ قدرتهِ الماليةِ ودعمِ عملياتهِ العسكريةِ بهدفِ البقاءِ في السلطةِ، عبرَ سياساتٍ ماليةٍ ونقديةٍ عمَّقَتِ الفقرَ، ورافقَتْها أدواتُ ضَغطٍ إضافيَّةٌ؛ كالحصارِ والوضعِ الأمنيِّ المُتَرَدّي، ما زادَ من حِدَّةِ التَّدهورِ والتَّهميشِ العامِّ.[2]

تُظهِرُ إجاباتُ الفاعلينَ الثقافيّينَ بأنَّ نَقصَ المواردِ وضعفَ البنى التحتيةِ، إضافةً إلى قلةٍّ التمويلِ والخدماتِ الأساسيةِ، تلعبُ دوراً أساسياً في تهميشِ المجتمعاتِ ذاتِ المواقعِ النائيةِ، أو تلكَ التي عانتْ من النزاعاتِ وآثارها الممتدةِ. ورَكَّزتْ العديدُ من الرُّدودِ على الأثرِ العميقِ للحربِ على تدهورِ الأوضاعِ الاقتصاديةِ، مع ارتفاعِ معدَّلاتِ البطالةِ والتوقُّفِ عن العملِ، خاصةً بينَ بعضَ العاملينَ في مهنٍ تتعلقُ بالتراثِ، كالطباعةِ الحمويةِ أو صناعةِ السجادِ المحليِّ وغيرها، بسببِ ضعفٍ أو انعدامِ القدرةِ الشرائيةِ، وتراجعِ سوقِ السياحةِ الذي يُعتبرُ وسيلةً أساسيةً لتصريفِ هذهِ المنتجاتِ.

ويعاني سكّانُ الأريافِ والمناطقِ المهمَّشةِ من ضَعفٍ ملحوظٍ في الخدماتِ الأساسيَّةِ، مثلَ التَّدريبِ المِهنيِّ الذي يؤثرُ بشكلٍ مباشرٍ على فرصِ العملِ، بالإضافةِ إلى شبهِ انعدامِ برامجِ التمويلِ الصغيرِ، الأمرُ الذي يحِدُّ من قُدرتِهم على تطويرِ مشاريعَ اقتصاديَّةٍ وثقافيَّةٍ مستدامة. كما تُظهرُ بَعضُ الإجاباتِ أنَّ الفقرَ يجعلُ الاهتمامَ بالتراثِ والثقافةِ ترفاً لا يمكنُ تَحمُّلهُ بالنسبةِ لشريحةٍ واسعةٍ من السُكّانِ، ما يهدِّدُ استمرارَ الممارساتِ الثقافيَّةِ وصونَ التراثِ المحليِّ.

بالإضافةِ إلى أنَّ الظروفَ الاقتصاديَّةَ غيرَ المتكافئةِ، وغيابَ العدالةِ في توزيعِ الخدماتِ، والنزاعاتِ المستمرَّةَ، ساهمَتْ في تَعميقِ العُزلةِ بينَ المناطقِ وخلقِ حواجزَ نفسيَّةٍ وماديَّةٍ تُضعِفُ الرَّوابطَ الاجتماعيَّةَ وتَحِدُّ منَ المُشاركةِ المُجتمعيَّةِ.

---

[2] محمد سعيد. ”اقتصاد النظام السوري المقاربات والسياسات 1970 – 2024.“ جسور للدراسات, جسور, 28 Oct. 2024, www.jusoor.co/ar/details/اقتصاد-النظام-السوري-المقاربات-والسياسات-1970-2024. Accessed Dec. 2025.

وهُنا أيضاً نجِدُ أنَّ التهميشَ الاقتصاديَّ لا يَتعلَّقُ بالوضعِ المعيشيِّ فقط ، بلْ يَتجَلّى كَجُزءٍ منْ مَنظومةٍ أوسعَ، تتداخَلُ فيها الأزماتُ السياسيَّةُ والأمنيَّةُ والاجتماعيَّةُ، وتَنتجُ عَنْها فَجواتٌ اقتِصاديَّةٌ حادَّةٌ تُضعِفُ قُدرةَ المُجتَمعاتِ على المشاركةِ الفاعِلةِ والابتكارِ الثقافيِّ. ويساهمُ فهمُ هذا التفاوتِ بينَ المناطقِ وسياقاتِها من قبَلِ الفاعلينَ الثقافِيّينَ في تطويرِ تَدخُّلاتٍ ثقافيَّةٍ تُراعي الواقعَ الاقتصاديَّ المترديَّ للفئاتِ الأكثَرَ تأثراً.

تَجَلِّياتُ التَّهميشِ على المُستَوِيَيْنِ الثقافيِّ والمَعرِفيِّ

ترتبطُ جذورُ التهميشِ على المستوى الثقافيِّ والمعرفيِّ بعواملَ تاريخيةٍ وسياسيةٍ واجتماعيةٍ متداخلةٍ ومتراكمةٍ عبر عقودٍ من السياساتِ المركزيةِ واحتكارِ الدولةِ شبهِ التامِّ للحياةِ الثقافيةِ، بظلِّ رقابةٍ محكمةٍ على الإنتاجِ الثقافيِّ والفنيِّ. وتشيرُ نتائجُ الاستبيانِ إلى أنَّ هذه السياساتِ حدّتْ من تداولِ المعرفةِ، وقيدتْ إمكانياتِ التعلمِ، وساهمتْ بإقصاءِ مناطقَ واسعةٍ عن التفاعلِ مع الحراكِ الثقافيِّ والفنيِّ. مثلاً تشيرُ إحدى الإجاباتِ من محافظةِ درعا إلى أنهُ "لا يوجد في المحافظةِ على سبيلِ المثالِ إلا سينما واحدةٌ ومغلقةٌ منذ أكثرَ من 30 عاماً، وحتّى اليومَ ما زالَ العمَلُ الثقافيُّ شبهَ غائبٍ عن المحافظةِ"، ويعكسُ هذا المثالُ القرارَ السياسيَّ المركزيَّ ،الذي لا يعتبرُ الاهتمامَ بالعملِ الثقافيِّ بالأطرافِ ذا قيمةٍ استراتيجيةٍ، وغيابَ السياساتِ الداعمةِ لوجودِ حيزٍ ثقافيٍّ فاعلٍ بعيداً عن المراكزِ.

ويتجلّى هذا التهميشُ أيضاً في ثقافةِ الفكرِ الواحدِ، ونبذِ التنوُّعِ الثقافيِّ الذي يعتبرُ نقطةَ قوةٍ هائلةٍ في المجتمعِ السوريِّ. فتمّ تغييبُ الأصواتِ المختلفةِ عن السرديةِ الرسميةِ، وتهميشُ تراثِ الأريافِ والأقلِّياتِ، بما في ذلكَ الهويّاتُ اللغويَّةُ والثقافيَّةُ مثلَ ثقافاتِ المنطقةِ الشرقيةِ، كالفنِّ والفلكلورِ السريانيِّ وغيرها. وأسهمَ ذلك في إضعافِ الموروثِ المحليِّ وتقليصِ حُضورهِ في الحياةِ العامةِ، وتحويلِ التنوعِ الثقافيِّ من عنصرِ قوةٍ إلى آليةِ إقصاءِ.

إلى جانبِ ذلك، يَظهرُ التهميشُ المعرفيُّ في ضَعفِ البنى التحتيةِ الثقافيةِ وغيابِ المساحاتِ والفضاءاتِ الآمنةِ للتعبيرِ والممارسةِ الفنيةِ، خاصَّةً للأطفالِ والشبابِ والنساءِ، إضافةً إلى محدوديةِ برامجِ التدريبِ، وغيابِ الوعيِ المجتمعيِّ بأهمِّيةِ الدورِ الثقافيِّ. وتُبيِّنُ الإجاباتُ بأنَّ الظروفَ الاقتصاديَّةَ والاجتماعيَّةَ جعلتِ الفنَّ والابتكارَ في أدنى سُلَّمِ أولويّاتِ الحياةِ اليوميةِ، ما عَمّقَ الشُّعورَ بالعزلةِ، وحَدَّ منَ المُشارَكةِ في الحياةِ الثقافيةِ العامةِ. وتشيرُ بعضُ المجموعاتِ إلى أنَّ مَحدوديةَ الوُصولِ إلى الفنونِ العالميَّةِ والأنشِطةِ الإبداعيَّةِ داخلَ المدارسِ والجامعاتِ، ساهَمتْ في توسيعِ الفجوةِ المعرفيَّةِ بينَ المَركزِ والأطرافِ.

استِجاباتُ الفاعِلين الثَّقافيِّينَ لِلتَّهميشِ في مُجتَمعاتِهم

إنَّ الاستجابةَ لهذهِ الأنماطِ المتعددةِ من التهميشِ، كما تشيرُ إجاباتُ المشاركينَ، تتطلبُ فهماً دقيقاً لخصوصيةِ السياقاتِ في كلِّ منطقةٍ والعواملِ الاجتماعيةِ والسياسيةِ المؤثرةِ فيها، والعملُ على تخفيفِ العزلةِ ونتاجِ سنواتٍ طويلةٍ من التهميشِ المنهجِ يحتاجُ إلى الوقتِ وقد لا تظهرُ نتائجهُ بشكلٍ مباشرٍ. ومع ذلكَ، تؤكدُ البياناتُ على قدرةِ المشاريعِ الفنيةِ والثقافيةِ وبرامجِ حفظِ التراثِ الماديِّ واللاماديِّ على تقديمِ استجاباتٍ خلاقةٍ وغيرِ نمطيةٍ لهذهِ التحدياتِ، وفتحِ مجالاتٍ جديدةٍ نحو المشاركةِ والتمكينِ.

وتختلفُ استجاباتُ المبادراتِ والمؤسساتِ الثقافيةِ للتهميشِ باختلافِ السياقاتِ المحليةِ وحقولِ العملِ التي تتحركُ ضمنها بالإضافةِ إلى نوعِ التهميشِ الذي تستهدفهُ. إذ تظهرُ نتائجُ الاستبيانِ تنوعاً واضحاً في الحاجاتِ وطبيعةِ التدخلاتِ المطلوبةِ. وتَظهرُ هذهِ الاستجاباتُ في معظمها بصيغٍ تأخذُ في الاعتبارِ تداخلَ العواملِ الاجتماعيةِ والسياسيةِ والاقتصاديةِ في كلِّ منطقةٍ، ما يجعلُ تدخلاتِ الفاعلينَ المحليينَ، بتنوعها، أكثرَ قدرةٍ على تلبيةِ احتياجاتِ العيشِ والكرامةِ والمشاركةِ للمجتمعاتِ المتأثرةِ والمستهدفةِ، مع تطويرِها وربطِها بضروراتِ كلِّ مرحلةٍ وظروفِها السياسيةِ.

″أسبابُ التهميشِ كثيرةٌ، نسعى بقدرِ استطاعتِنا أن نكونَ تضمينيينَ في طريقةِ تفكيرِنا وتنفيذِنا للمشاريعِ″. — إرمُ الحرك، مؤسسةِ "كفوةِ".

يُظهِرُ تحليلُ الإجاباتِ مجموعةً واسعةً من التدخُّلاتِ التي يعتمدُها الفاعلونَ الثقافيّونَ في مواجهةِ التَّهميشِ، والتي يمكنُ تصنيفُها ضمن المحاورِ التاليةِ، ونعرضُ ضمنَها أمثلةً منتقاةً كنماذجَ عن طبيعةِ هذهِ التدخلاتِ وتنوعِها. مع التنويهِ إلى تداخلِ هذهِ المحاورِ في كثيرٍ من الأحيانِ، فالعملُ مثلاً على توثيقِ أجزاءٍ من التراثِ يمكنُ أن يتضمنَ أيضاً تحويلَهُ إلى مصدرِ دخلٍ وربطهُ بالاستدامةِ الاقتصاديةِ، وكسرِ العزلةِ وإعادةِ فتحِ المجالِ العامِّ أمام مختلفِ أنواعِ المشاركةِ يمكنُ أن يرتبطَ كذلك بتحويلِ الممارساتِ الثقافيةِ إلى أدواتٍ للتماسكِ المجتمعيِّ والسلمِ الأهليِّ.

1- إعادةُ فَتْحِ المَجالِ العامِّ وتَخفيفُ العُزلَةِ

تسعى نسبةٌ كبيرةٌ من المبادراتِ لكسرِ العزلةِ التي تفرضها سياساتُ التهميشِ عبرَ خلقِ مساحاتٍ آمنةٍ للقاءِ والتعبيرِ، مثل عروضِ السينما، وورشِ المسرحِ التفاعليِّ، والتدريباتِ الموسيقيةِ، والحكايةِ، ومعارضٍ وتدريباتِ الرسمِ.

مثلاً، تعملُ منظمةُ "دارُ للسلامِ والازدهارِ" التي تأسَّستْ في حَلَب عامَ 2015 على إعادةِ فتحِ المجالِ أمامَ الفئاتِ المهمشةِ، ولا سيما النساءَ والشبابَ، من خلال دعمِ مبادراتٍ محليةٍ تعززُ الحوارَ والتماسكَ المجتمعيَّ وبناءَ السلامِ. ففي إطارِ مشروعِ "أثَر" تقدِّمُ "دارٌ" دعماً للفرقِ والشبكاتِ المحليةِ لتنفيذِ مبادراتٍ تشاركيةٍ تخلقُ مساحاتٍ آمنةٍ للنقاشِ وتبرزُ دورَ النساءِ والشبابِ في الشأنِ العامِّ وصنعِ القرارِ. كما يساهمُ برنامجُ "آغورا" في ربطِ مناطقَ سوريةٍ مختلفةٍ وبناءِ شبكاتِ تعاونٍ بين النساءِ من خلفياتٍ متعددةٍ، بما يعززُ المشاركةَ السياسيةَ والمواطنةَ الفاعلةَ، ويحِدُّ من العزلةِ الاجتماعيةِ.

وتبرزُ أهميةُ هذهِ المساحاتِ في المناطقِ ذاتِ البنى الثقافيةِ الضعيفةِ بسببِ الإقصاءِ أو بسببِ انقطاعِها عن النشاطِ العامِّ بفعلِ الحصارِ والحربِ والفقرِ، فتتعدى المشاركةُ الثقافيةُ الفاعلةُ النشاطَ الترفيهيَّ لتصبحَ بحدِّ ذاتِها تدخلاً لاستعادةِ الحقِّ بالاجتماعِ والظهورِ والمشاركةِ في الحيزِ العامِّ.

كما يظهرُ تدخُّلُ "مجتمعِ حمصَ السينمائيِّ" الذي تأسسَ عامَ 2025 كمحاولةٍ لردمِ الفجوةِ التي خلفتها سنواتُ الحربِ على المجتمعِ السوريِّ من خلال عروضِ السينما التي توفرُ مساحةً مفتوحةً لفهمِ ما جرى خلالَ النزاعِ وإتاحةِ النقاشِ حولَهُ، إلى جانب تطويرِ ورشاتِ عملٍ تستهدفُ الفئاتِ المهمَّشةَ، بما يساهمُ في تفعيلِ الحيِّزِ الثقافيِّ كمساحةٍ للقاءِ والتعبيرِ المشتركِ، خاصةً عندما نتحدثُ عن مدينةِ حمصَ، التي عانتْ خلالَ سنواتِ الحربِ، من نزاعاتٍ عنيفةٍ وانقساماتٍ هائلةٍ داخلَ مجتمعِها، إلى جانبِ عقودٍ من التهميشِ الثقافيِّ والمجتمعيِّ، لذلكَ تبرزُ اليومَ حاجةٌ ماسَّةٌ فيها لتفعيلِ أيَّةِ مساحةٍ ثقافيةٍ جديدةٍ؛ خاصَّةً لجيلِ الشبابِ.

كذلكَ، تعملُ مجموعةُ "بلدُنا ثروتنا" على تشجيعِ الأريافِ؛ ولاسيَّما المهمَّشةُ والبعيدةُ عن المركزِ، والتعريفِ بثقافاتها وصناعاتها التراثيةِ، بما يُشعِرُ المشاركينَ فيها بأنهم "يتعرفونَ إلى البلدِ ويحبونها ويفتخرونَ بها رحلةً بعدَ أخرى".

كذلكَ، أطلقتْ "دارُ ورشةٍ للصناعةِ الثقافيةِ" في حلب، التجربةَ الثقافيةَ (Nowhere Cultural Experience)، وهي عبارةٌ عن جولاتٍ إلى الأريافِ والمناطقِ المهمشةِ (مثلَ عفرينَ، جبلِ السماقِ، نبلَ) للمشاركةِ في طقوسِها ومناسباتِها (كالنيروزِ، مواسمِ الحصادِ، قطفِ الوردِ الشاميِّ) وزيارةِ العائلاتِ التي تحافظُ على تراثٍ حرفيٍّ أو غنائيٍّ، وهي تهدفُ إلى خلقِ تجاربَ حياتيةٍ وخبراتٍ مع سكانِ المدينةِ وريفِها لاكتشافِ الآثارِ والتراثِ الحيِّ المعاشِ والثقافاتِ المتنوعةِ من عدةِ جوانبَ (كالرقصاتِ والموسيقى والطعامِ الخاصينَ بكلِّ ثقافةٍ)، وخلقِ قنواتِ اتصالٍ بينَ سكانِ المدينةِ والريفِ، وتساهمُ في صونِ التراثِ المحليِّ.

2- تَمكينُ الفِئاتِ الأكثرَ هَشاشةً بوَصفِها فاعِلةً لا مُتَلقِّيةَ خِدْمَة

تستهدفُ العديدُ من المبادراتِ قيدَ الدراسةِ النساءَ، وكبارَ السنِّ والنازحينَ وذوي المفقودينَ والأقلياتِ الدينيةِ واللغويةِ وسكانَ الأريافِ والمناطقِ التي تعاني من ضعفِ الخدماتِ، أو التي تعرضت للتدميرِ والتهجيرِ خلالَ العقدِ الماضي. وتشملُ التدخلاتُ المطروحةُ برامجَ تعليميةً وتدريبيةً وجلساتِ دعمٍ نفسيٍّ اجتماعيٍّ وغيرِها. ولا تكتفي هذه المبادراتُ بتقديمِ الخدماتِ وإنما تساهمُ في بناءِ القدراتِ للفئاتِ المستهدفةِ ونقلِها إلى موقعِ الفاعلِ عبرَ إشراكِها بالإنتاجِ الثقافيِّ، والتوثيقِ وتصميمِ الأنشطةِ، بما يوسعُ قاعدةَ المشاركةِ والتمثيلِ في المجالِ الثقافيِّ والمجتمعيِّ، بالإضافةِ إلى المساهمةِ في التعافي من آثارِ الحربِ وتعزيزِ القدرةِ على التكيفِ.

تقدمُ جمعيةُ "عاصمةُ السلامِ" التي تأسَّستْ في حمصَ سنةَ 2024 مثالاً على هذا النهجِ من خلال برامجِ دعمٍ نفسيٍّ موجَّهةٍ للنساءِ، بالتوازي مع برامجَ ترفيهيةٍ للأطفالِ، ما يُعزِّزُ فرَصَ مشاركةِ الأمَّهاتِ ويُساهمُ في تخفيفِ هشاشتِهنَّ الاجتماعيةِ والنفسيةِ.

بدورها تتيحُ مبادرةُ " See My Raqqa " التي تأسَّستْ عامَ 2017 من خلال المقابلاتِ الهادفةِ لتوثيقِ التراثِ، مشاركةً فاعلةً لأبناءِ الرقةِ في عمليةِ التوثيقِ وتمنحُهم مساحةً للتعبيرِ الذاتيِّ واستعادةِ سردياتِهم الخاصةِ عبرَ التعريفِ بحياتهمْ ومدينتهمْ. وبذلكَ تعيدُ المبادرةُ تعريفَ التوثيقِ بوصفهِ ممارسةً تمكينيةً لا عمليةً توثيقيةً محايدةً.

3- رَبْط ُالمُمارساتِ الثَّقافيةِ بِسُبُلِ العَيشِ والعدالةِ الاقتِصاديّة

تظهرُ نتائجُ الاستبيانِ تكراراً واضحاً، لِربطِ النشاطِ الثقافيِّ بالتمكينِ الاقتصاديِّ المحليِّ، خاصةً عندَ الحديثِ عن مشاريعَ الحرفِ اليدويةِ المرتبطةِ بالمنتجاتِ التراثيةِ، ودعمِ المنتجينَ الصغارِ، أو إعادةِ إحياءِ مُمارساتٍ تراثيَّةٍ مهددةٍ بالاندثارِ. وتظهرُ الثقافةُ والفنُّ هنا بوصفِها وسيلةً لمواجهةِ التهميشِ الاقتصاديِّ الذي يَحِدُّ من اعتبارِ الثقافةِ كأولويةٍ، ومحاولةً لتحقيقِ العدالةِ الاقتصاديةِ. كما أنَّها تساهمُ بإحقاقِ العدالةِ المكانيةِ عبرَ الترويجِ لمنتجاتِ الأطرافِ والأريافِ عوضاً عن إعادةِ إنتاجِ المركزيةِ.

فمثلاً، يجسدُ مشروعُ "خيوطُ الأملِ – أغباني" الذي تأسَّسَ بينَ مدينةِ دوما وبينَ دمشقَ عامَ 2013 هذا التوجهَ بوصفهِ استجابةً مباشرةً للتهميشِ الذي طالَ سكانَ ريفِ دمشقَ خلالَ سنواتِ الحصارِ وبالأخصِّ النساءَ، حيثُ عملَ المشروعُ على تدريبِ نساءٍ من المنطقةِ على حرفةٍ تقليديةٍ من التراثِ السوريِّ بما يحققُ حمايةً مزدوجةً للتراثِ الماديِّ من خلالِ المنتجِ النهائيِّ واللاماديِّ عبرَ نقلِ المعارفِ وتقنياتِ التطريزِ والرموزِ والزخارفِ. وفي الوقتِ نفسهِ أسهمَ بتعزيزِ استقلاليةِ النساءِ الماديةِ في ظلِّ ظروفٍ اقتصاديةٍ بالغةِ القسوةِ خاصةً تحتَ نيرِ الحربِ والحصارِ الذي فرضَ لسنواتٍ على غوطةِ دمشقَ الشرقيةِ، بشكلٍ يعيدُ تعريفَ العملِ التراثيِّ كممارسةٍ معاصرةٍ ترتبطُ بالكرامةِ وسبلِ العيشِ والقدرةِ على الصمودِ.

كذلكَ الأمرُ بالنسبةِ لمبادرةِ "ولفي" لدعمِ الحرفِ الحمويةِ والتي عملتْ على إخراجِ العديدِ من الصناعاتِ التراثيةِ الحمويةِ من دائرةِ الإهمالِ لتربطَها بممارساتٍ حياتيةٍ مُعاشةٍ وتحولَها إلى مصدرِ دخلٍ ثابتٍ للعديدِ من العاملينَ فيها.

4- حمايةُ الذّاكرةِ والتُّراثِ كَجُزءٍ أساسيٍّ منَ الهويّةِ المَحليّةِ وإطارٍ جامعٍ لَها

تعكسُ النتائجُ اهتماماً كبيراً بمبادراتِ توثيقِ التراثِ الماديِّ واللاماديِّ، وتسهمُ العديدُ من هذه المبادراتِ بشكلٍ مباشرٍ أو غيرِ مباشرٍ في حمايةِ الهويةِ الثقافيةِ المحليةِ وخصوصياتِ كلِّ منطقةٍ، من خلالِ توثيقِ الذاكرةِ الشفهيةِ، بما فيها الموسيقىَ والأغانيَ والطقوسَ الشعبيةَ، بالإضافةِ لحفظِ سردياتِ المجتمعاتِ المحليةِ والأقلياتِ. وتهدفُ هذه البرامجُ للردِّ على التهميشِ الثقافيِّ والمعرفيِّ وتغييبِ أصواتِ الأطرافِ من خلالِ صونِ ممارساتٍ ورواياتٍ المجتمعاتِ المحليةِ المهمشةِ وتعزيزِ الاعترافِ بالتنوعِ الثقافيِّ السوريِّ.

فعلى سبيلِ المثالِ، هدفتْ مبادرةُ "ولفي لدعمِ الحرفِ"، التي تأسستْ في حماةَ سنةَ 2020 لإحياءِ وتطويرِ حرفةِ الطباعةِ التقليديةِ على القماشِ المهددةِ بالاندثارِ نتيجةَ الحربِ والإهمالِ والتحدياتِ الاقتصاديةِ. فسعتْ لحمايةِ هذا التراثِ عبرَ دعمِ الحرفيينَ وتدريبِ أجيالٍ جديدةٍ على تقنياتِ الطباعةِ باستخدامِ تصاميمَ تراثيةٍ على المنسوجاتِ، مع إتاحةِ إدخالِ تصاميمَ معاصرةٍ تحفظُ على التقنياتِ المعاصرةِ دونَ تجميدِها وتتيحُ اقتناؤها وربطَها بالممارساتِ الحياتيةِ اليوميةِ. كما ساهمتْ من خلالِ المعارضِ في تعريفِ جمهورٍ أوسعَ بهذا الفنِّ السوريِّ الأصيلِ، وإعادةِ ربطِ الحرفةِ التقليديةِ بسياقها الثقافيِّ والاجتماعيِّ على أنها ممارسةٌ حيةٌ قابلةٌ للاستمرارِ.

كذلكَ تَعملُ مؤسَّسةُ "موج" من خلالِ مشروعِ "مصطبة" على توثيقِ تراثِ القلمونِ وتقديمِهِ بطريقةٍ معاصرةٍ وتفاعليةٍ خاصةٍ لجيلِ الشبابِ، مما ساهمَ في نقلِ بعضٍ من العاداتِ والتقاليدِ التراثيةِ بينَ الأجيالِ في المنطقةِ وربطِها بالهويةِ المحليةِ، كما استهدفتْ بعضُ أنشطةِ المشروعِ شرائحَ مهمشةً منها ذوي الإعاقةِ.

بينما أطلقتْ منظَّمةُ "بالون" في الرقةَ مجموعةً متنوِّعةً من المشاريعِ والبرامجِ التي تصبُّ في خانةِ الحفاظِ على التراثِ وربطهِ بهويةِ الرقةِ، ويكتسبُ ذلك أهميةً كبيرةً مع ما عانتهِ المحافظةُ بشكلٍ خاصٍّ خلالَ سنواتِ الحربِ، ومنها مبادرةُ "حفظ الرقَّة" التي تعملُ لإنشاءِ قاموسٍ يوثّقُ اللهجةَ المحليةَ للمدينةِ مع شروحاتٍ صوتيةٍ ولغويةٍ لمفرداتها، حفاظاً على خصوصيتِها الثقافيةِ وكسرِ الصورةِ النمطيةِ التي تتعاملُ مع تنوعِ اللهجاتِ المحليةِ باستعلاءِ، ومنصةُ "شنو" التي تُعنى بإبرازِ التراثِ والثقافةِ الرقيةِ من خلالِ تسليطِ الضوءِ على الأدباءِ والمثقفينَ والحياةِ الاجتماعيةِ والعاداتِ والتقاليدِ، ومنصةُ "زيزفون" التي تسعى إلى توثيقِ الأمثالِ الشعبيةِ المحليةِ وشرحِ قصصِها وسياقاتِها الثقافيةِ، بوصفها جزءاً من الذاكرةِ الشفويةِ للمجتمعِ، ومبادرةُ "هيج ربينا" التي تهدفُ إلى إحياءِ الألعابِ الشعبيةِ بينَ الأطفالِ والشرحِ عنها، ومبادرةُ "كليجة العيد"» التي تهدفُ إلى إحياءِ الطقوسِ الشعبيةِ لتحضيرِ الكليجةِ وفعالياتَ ثقافيةٍ ترفيهيةٍ للأطفالِ مع توزيعِ الكليجةِ لهم ضمنَ الأسواقِ.

وتَتضمَّنُ جهودُ منظمةِ "تدمرتو للتنميةِ والتماسكِ المجتمعيِّ" في القامِشلي، جمعَ الرواياتِ الشفويةِ، وتصويرَ المواقعِ التراثيةِ، وتوثيقَ العاداتِ والتقاليدِ والممارساتِ الثقافيةِ التي تشكلُ جزءاً من الهويةِ المحليةِ لهذهِ المجتمعاتِ، ويتمُّ العملُ على ذلك مع أفرادِ المجتمعِ المحليِّ، لضمانِ أن يكونَ صوتُهم وحضورُهم جزءاً أساسياً من حفظِ تراثِهم ونقلهِ إلى الأجيالِ القادمةِ.

تُوضِّحُ هذه الأمثلةُ بتنوُّعِها مرونةَ التدخُّلاتِ الفنيَّةِ والثقافيَّةِ، منَ المشاريعِ الفنيةِ الموسيقيةِ، أو المسرحيةِ أو السينمائيةِ، لمشاريعِ حفظِ الهويةِ الثقافيةِ والتراثِ اللامادي، بما فيها ممارساتِ التوثيقِ. بالإضافةِ إلى قدرتِها على التكيفِ مع التحدياتِ المرحليةِ ومواكبةِ التحولاتِ المعاصرةِ، دونَ فصلِ التراثِ عن سياقهِ الاجتماعيِّ والحياتيِّ.

5- المُناصَرةُ ودَعْمُ القَضايا المُجتَمَعيَّة

تَشمَلُ استجاباتُ الفاعلينَ، العملَ على قضايا العنفِ القائمِ على النوعِ الاجتماعيِّ، وعدمِ المساواةِ، وحقوقِ ذوي الإعاقةِ، إلى جانبِ برامجَ تستهدفُ بناءَ القدراتِ القياديةِ، والتمكينَ السياسيَّ، وتعزيزَ العدالةِ الجندريةِ والمشاركةِ المجتمعيةِ. تظهرُ هذه المقارباتُ دورَ وأهميةَ التعبيرِ الثقافيِّ بوصفهِ أداةً للمناصرةِ، قادرةً على نقلِ القضايا الاجتماعيةِ من الهامشِ إلى الفضاءِ العامِّ، وفتحِ نقاشاتٍ يصعبُ طرحُها عبرَ القنواتِ التقليديةِ. كما أنها تهدفُ إلى إحداثِ تغييراتٍ على مستوياتَ عدةٍ، سواء كنا نتحدثُ عن الوصولِ إلى تغييراتٍ سلوكيةٍ ومجتمعيةٍ تمسُّ القضايا التي تتناولها، وصولاً إلى التأثيرِ على السياساتِ العامةِ وعلى توجهاتٍ مختلفةِ الأطرافِ الفاعلةِ ضمنَ القضايا ذاتِ الصلةِ.

تُمثِّلُ برامجُ فريقِ "حبق"، الذي تأسَّسَ في مدينةِ حمصَ عامَ 2021، نموذجاً واضحاً لهذه الاستجابةِ، إذ يوظِّفُ المسرحَ التفاعليَّ كأداةٍ للمناصرةِ ودعمِ القضايا المجتمعيةِ، من خلالِ تناولِ قضايا العنفِ القائمِ على النوعِ الاجتماعيِّ، وعدمِ المساواةِ والتحدياتِ التي تواجهُ الأشخاصَ ذوي الإعاقةِ. يعملُ الفنُّ هنا كوسيطٍ مرنٍ يسمحُ بطرحِ قضايا حساسةٍ ضمنَ الحيزِ العامِّ بطريقةٍ تشاركيةٍ، تتيحُ للجمهورِ التفاعلَ المباشرَ وإعادةَ التفكيرِ في القضايا من منظورٍ نقديٍّ، بما يعززُ الوعيَ المجتمعيَّ ويؤسسُ لتغييرٍ تدريجيٍّ في المواقفِ والسلوكياتِ.

كذلكَ تعملُ منظمةُ "شبابُ الغدِ السوريِّ" في الغوطةِ الشرقيةِ وبأدواتٍ متنوعةٍ منها توفيرُ مساحاتِ اللقاءاتِ والاجتماعاتِ، لممارسةِ الضغطِ والحشدِ والمناصرةِ خصوصاً لقضيةِ العائدينَ من رحلةِ النزوحِ واللجوءِ، للفتِ نظرِ المؤسساتِ الحكوميةِ ومؤسساتِ المجتمعِ المدنيِّ لهذه القضيةِ التي تحتاجُ إلى عملٍ وتمويلٍ هائلينَ للتمكنِ من إعادةِ هذه الفئةِ إلى منازِلها بكرامةٍ وتلبيةِ كلِّ متطلباتها، إلى جانبِ التأكيدِ على إعادةِ الإعمارِ بطريقةٍ تحفظُ خصوصيةَ المجتمعاتِ والمناطقِ التي دمرتها الحربُ.

6- بِناءُ التَّماسُكِ المُجتَمعيِّ عبرَ أدواتٍ ثقافيّةٍ وفنّيَةِ

شمَلتْ عيِّنةُ البحثِ عدَّةَ مبادراتٍ تعملُ على قضايا السلمِ الأهليِّ وربطِ المجتمعاتِ ببعضها من خلالِ مشاريعَ الحوارِ، وورشاتِ التماسكِ المجتمعيِّ العابرةِ للمناطقِ. وتسهمُ الفنونُ، كالموسيقى والسينما والحكايةِ، والبحثِ عن عناصرِ التراثِ المشتركةِ، في تخفيفِ الاستقطابِ وإنتاجِ مساحاتٍ آمنةٍ تعيدُ بناءَ الروابطِ وتتيحُ سردياتٍ جديدةً حولَ المشتركِ داخلَ المجتمعِ.

تعملُ منظمةُ "أركان للتنميةِ"، التي تأسَّستْ في درعا عامَ 2021 على معالجةِ التهميشِ المركَّبِ، الناتجِ عن التوتراتِ المناطقيةِ بينَ درعا والسويداءِ، من خلالِ استخدامِ التراثِ والحوارِ كمدخلينِ غيرِ مباشرينَ لبناءِ التماسكِ المجتمعيِّ. فمن خلالِ مشغلِ "بساط الجنوب" المشتركِ بينَ المحافظتينِ وبالتعاونِ مع منظمةِ "«فجة خرق" في السويداءِ، يتمُّ إحياءُ التراثِ المشتركِ وخلقُ مساحاتِ عملٍ جماعيٍّ تجمعُ نساءً من المدينتينِ، بما يعززُ التعارفَ، ويخففُ من الصورِ النمطيةِ، ويدعمُ النساءَ الأكثرَ هشاشةً اقتصادياً في الوقتِ نفسهِ. كما ركزَ مشروعُ "أم الغيث" على توثيقِ الأغاني والحكايا الشعبيةِ في الجنوبِ السوريِّ، وربطِها بجلساتِ حوارٍ حولَ الصلحِ والنضالِ المشتركِ، عبرَ المسرحِ والسردِ القصصيِّ، بما يساهمُ في إعادةِ بناءِ الذاكرةِ الجمعيةِ بوصفها أداةً للسلمِ الأهليِّ.

وبطريقةٍ مشابهةٍ يركِّزُ "ملتقى هارموني الثقافي" المؤسسُ في حمصَ عامَ 2018 من خلالِ مشروعِ "إحياء "(Revival) ، على حمايةِ التراثِ الثقافيِّ وإحياءِ الحرفِ القديمةِ كمدخلٍ للتمكينِ المجتمعيِّ وبناءِ التماسكِ المجتمعيِّ. يعملُ المشروعُ على ثلاثةِ محاورٍ: معالمَ المدينةِ، والسياقِ الثقافيِّ، ونمطِ الحياةِ بما يساهمُ في إيجادِ أرضياتٍ مشتركةٍ بينَ سكانِ حمصَ المتضررِ من الحربِ. كما يوفرُ من خلالِ نوادي الموسيقى، والرسم، والتصوير، واللغةِ الإنجليزيةِ، والكتابةِ، مساحاتٍ مستدامةً للتعبيرِ واللقاءِ وتطويرِ المهاراتِ، مع اعتمادِ سياسةِ التشاركيةِ في تصميمِ الأنشطة لضمانِ ملكيةِ المجتمعِ للمشروعِ وتأثيرهِ المباشرِ.

بدورها، أسَّستْ مجموعةُ "غاردينيا" كورالاً يتألفُ من شبابٍ وشاباتٍ هواةٍ من مناطقَ سورية مختلفةٍ، بما فيها مدنٌ مهمَّشةٌ ثقافياً (درعا والقنيطرة ودير الزور والرقة) وتعملُ على مشروعٍ جديدٍ يتضمنُ إقامةَ فعالياتَ موسيقيةٍ تفاعليةٍ في مناطقَ نائيةٍ ومدنٍ تعرضتْ للقصفِ والتهميشِ خلالَ السنواتِ الماضيةِ.

وفي الرقةَ، تستخدمُ منظمةُ "بالون" السينما كأداةٍ للحوارِ وبناءِ السلامِ، وتجمعُ الأهالي والأطفالَ حولَ قصصٍ ملهمةٍ تعززُ قيمَ التفاهمِ والتعايشِ. وفي ريفِ دمشقَ وتحديداً جرمانا، يعملُ "نادي سينما جرمانا" ضمنَ بيئةٍ "شعبيةٍ" مهمشةٍ على تنظيمِ عروضٍ ونقاشاتِ أفلامٍ سينمائيةٍ بشكلٍ أسبوعيٍّ تتناولُ القضايا المجتمعيةَ والإنسانيةَ والسياسيةَ، وتتحولُ هذه العروضُ إلى مساحاتٍ آمنةٍ للحوارِ بينَ الحاضرينَ وفريقِ النادي حولَ العديدِ من القضايا الاجتماعيةِ والسياسيةِ الراهنةِ.

إلى جانبِ هذه المحاورِ الأساسيةِ، تهدفُ بعضُ التدخلاتِ في المجتمعاتِ المهمشةِ إلى تقديمِ برامجَ تمكينٍ متنوعةٍ (اقتصاديةٍ ومعرفيةٍ وحقوقيةٍ وسياسيةٍ وبيئيةٍ وزراعيةٍ وغيرها) للفئاتِ الأكثر هشاشةً ومنها النساءُ والشبابُ، والتركيزُ على الإعلامِ كأداةٍ مساعدةٍ لمحاربةِ خطابِ الكراهيةِ والصورِ النمطيةِ التي تسهمُ بدورها في زيادةِ هشاشةِ المجتمعاتِ، والتركيزُ على الإنتاجِ الفنيِّ الثقافيِّ بمختلفِ أشكالهِ، وحتى تقديمُ بعضِ المساعداتِ الطارئةِ عندَ اللزومِ.

تقدمُ هذه الأنماطُ مجتمعةً صورةً عن مقارباتٍ متعددةِ المستوياتِ تتجاوزُ الثقافةَ بوصفها قطاعاً منفصلاً، وتسعى إلى مواجهةِ آثارِ التهميشِ من خلالِ العملِ على الجوانبِ الاقتصاديةِ والاجتماعيةِ والثقافيةِ والتعليميةِ بشكلٍ تقاطعيٍّ في كثيرٍ من الأحيانِ. كما تظهرُ نتائجُ الاستبيانِ أن ربطَ الفعلِ الثقافيِّ بقيمِ العدالةِ الاجتماعيةِ وبناءِ السلامِ، يفتحُ مساحاتٍ آمنةً للفئاتِ المهمشةِ بوصفها فاعلةً في الفضاءِ العامِّ. ويعيدُ توزيعَ التعبيرِ والتنظيمِ والإنتاجِ، بما يعززُ ممارسةَ مواطنةٍ أكثر عدلاً وشمولاً، لتصبحَ هذه المبادراتُ فاعلاً أساسياً في دعمِ الفئاتِ الأكثر هشاشةً وإعادةِ دمجِها ضمنَ الحيزينِ الثقافيِّ والاجتماعيِّ، والحيزِ السياسيِّ بالنتيجةِ.

حللنا في هذه الفقرةِ أشكالَ التهميشِ المختلفةِ في سورية منذ عقودٍ وحتى اليومِ، سواءً على أساسٍ جغرافيٍّ أو اجتماعيٍّ/هوياتيٍّ أو جندريٍّ، وتجلياتهِ على المستوياتِ الاقتصاديةِ والخدميةِ والثقافيةِ والمعرفيةِ، كما بيّنا استجاباتٍ متنوعةً للفاعلينَ الثقافيينَ المشاركينَ في الاستبيانِ لهذا التهميشِ في مجتمعاتِهم، وأهميةَ هذه الاستجاباتِ للمجتمعاتِ وسكانِها على الصعدِ الثقافيةِ والاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والنفسيةِ وغيرها.

4 العَمَلُ في مجالِ حمايةِ التُّراثِ السُّوريِّ

تتعامـلُ العديـدُ مـن المجموعـاتِ والكيانـاتِ قيـدَ الدراسـةِ، مـع عنـاصرَ متنوعـةٍ مـن الـتراثِ سـواءً المـاديِّ أو غـيرِ المـاديِّ في برامجِهـا، وعـلى مسـتوياتَ مختلفـةٍ، ويمكـنُ أن يكـونَ ذلـك بغـرضِ التوثيـقِ وحفـظِ الـتراثِ وكذلـك نقلـهِ لأجيـالٍ جديـدةٍ، أو بغـرضِ اسـتخدامِ الـتراثِ لأهـدافٍ أخـرى ومنهـا ربطُـه بالسـلمِ الأهـليِّ والتماسـكِ المجتمعـيِّ بطـرقٍ مختلفـةٍ، أو تحويلُـه إلى مصدرِ دخلٍ مستدامٍ.

وَرغـمَ أنَّنـا لا نَسـعى في هـذهِ الورقـةِ إلى حَـصْرِ الدراسـةِ بالعَمـلِ عـلى حِفـظِ الـتراثِ السـوريِّ بـكلِّ مـا يرتبـطُ بذلـك مـن جوانـبٍ، لكنَّنـا ارتَأيْنـا بأنَّـهُ مـن المفيـدِ تضمـينُ ذلـك في الاسـتبيانِ، ومعرفـةُ مجـالاتِ عمـلِ المجموعـاتِ والمبـادراتِ والأفـرادِ المسـتهدفينَ وكيـفَ ينظـرونَ إلى الـتراثِ وأهميـةِ صونـهِ وحفظـهِ، فالكثـيرُ مـن هـذه المجموعـاتِ تـرى في الـتراثِ حامـلاً لقيـمِ الهويـةِ والانتـماءِ وعامـلاً مسـاعداً في تعزيـزِ التماسـكِ والسـلمِ الأهـليِّ، وهـي وإن كانـت لا تعمـلُ عـلى هذيـن المحوريـنِ بشـكلٍ مبـاشرٍ، لكـن في كثـيرٍ مـن الأحيـانِ، تسـاهمُ برامجُهـا الثقافيـةُ في دعـمِ هـذه القيـمِ وتعزيـزِ مبـادئِ الحـوارِ واللاعنـفِ وكسرِ الصورِ النمطيةِ وغيرِها.

مجالاتُ العملِ على التراث

كـما بيّنـا في فقـرةٍ سـابقةٍ، فـإن العديـدَ مـن المجموعـاتِ قيـدَ الاسـتبيانِ تعمـلُ عـلى مجـالاتٍ مرتبطـةٍ بالـتراثِ المـاديِّ وغـيرِ المـاديِّ، وضمـن مسـتوياتٍ وأحجـامِ عمـلٍ مختلفـةٍ. مـن هـذه المجـالاتِ توثيـقُ الـتراثِ وتسـليطُ الضـوءِ عـلى عنـاصرَ معينـةٍ منـه (24 مجموعـةً)، والحفـاظُ عـلى الحـرفِ التقليديـةِ أو إحياؤهـا ودعـمُ اسـتمرارها وتطويرُهـا وتحويلُهـا إلى مصـدرِ دخـلٍ (8 مجموعـاتٍ)، واسـتخدامُ أدواتِ البودكاسـتِ والمعـارضِ والحفـلاتِ الفنيـةِ والأفـلامِ والنـدواتِ والمهرجانـاتِ لتوثيـقِ الـتراثِ والتوعيـةِ بأهميتِـه (8 مجموعـاتٍ)، وتدريـبُ اليافعـينَ والأطفـالِ عـلى مفاهيـمَ متعلقـةٍ بالـتراثِ (مجموعتـين)، وتوظيـفُ الفنـونِ والثقافـةِ في حفـظِ السرديـاتِ (5 مجموعـاتٍ)، والإنتـاجُ الثقـافيُّ عـلى اختلافِـه (3 مجموعـاتٍ)، إلى جانـبِ إنتـاجِ أوراقٍ بحثيـةٍ حولَ التراثِ وإجراءِ جولاتٍ ثقافيةٍ في المناطقِ المهمشةِ وتحويلِ التراثِ إلى مناهجَ تدريبيةٍ طويلةِ المدى.

أبرزُ المخاطرِ التي تهددُ التراثَ اليوم وفقَ آراءِ المشاركين

تـمَّ سـؤالُ المشـاركينَ في الاسـتبيانِ حـولَ العوامـلِ التـي يمكـنُ أن تشـكلَ تهديـداً للـتراثِ المـاديِّ واللامـاديِّ في سـوريا اليـوم برأيِهـم، وسـعينا ضمـنَ الفقـراتِ التاليـةَ لجمـعِ أبـرزِ النقـاطِ والتـي تكـررَ ورودُ الكثـيرِ منهـا في الإجابـاتِ مـا يـدلُّ عـلى إلحاحِهـا وأهميتِها:

1) التُّراثُ اللّاماديُّ:

- مخاطرُ مُتَعلِّقةٌ بآليّاتِ وأطُرِ توثيقِ التُّراثِ اللّاماديِّ والمُتناقلِ شَفَوِيّاً:
  - التناقـلُ الشـفهيُ مـع عـدمِ الاهتـمامِ بالتوثيـقِ والأرشـفةِ بشـكلٍ علمـيٍّ مـما يهـددُ بفقـدانِ الثقافـاتِ المحليـةِ. إلى جانـبِ ذلـك تغيـبُ المبـادراتُ الكافيـةُ للتوثيـقِ بشـكلٍ رقمـيٍّ مـما يسـاهمُ في الحفـاظِ عـلى الـتراثِ اللامـاديِّ بمختلـفِ عناصره.
  - تضـاؤلُ واختفـاءُ انتقـالِ المعـارفِ والخـبراتِ ومعظـمِ الجوانـبِ التراثيـةِ بـينَ الأجـدادِ والأبنـاءِ والأحفـادِ، وضعـفُ طـرقِ جـذبِ الأجيـالِ الجديـدةِ للـتراثِ بطـرقٍ مبتكـرةٍ. تقـولُناديـا حلمـي مـن مجموعـةِ "بلدنـا ثروتنـا": "ربمـا نحـن آخـرُ الأجيـالِ التـي مـا زالـت مهتمـةً بهـذا الموضـوعِ وهنـاك الكثـيرُ مـن عنـاصرِ الـتراثِ التـي لم يعـد لهـا مـكانٌ في حياتنـا المعاصرةِ، مثلَ الأعراسِ القديمةِ."
  - قلـةُ وجـودِ رقابـةٍ عـلى الكتـبِ التـي تعنـى بحفـظِ الـتراثِ مـما يـؤدي لتشـويههِ أحيانًـا أو عـدمِ مصداقيتـهِ، ويجعلـهُ عرضةً للسرقةِ أو إعادةِ الإنتاجِ بطريقةٍ غيرِ دقيقةٍ لا تحافظُ على أصالته.
  - قلـةُ الباحثـينَ العاملـينَ و/أو المهتمـينَ بحفـظِ الـتراثِ ونقلـهِ بالطـرقِ المنهجيـةِ والعلميـةِ والدقيقـةِ، وقلـةُ المبـادراتِ الرسميةِ لحفظِ عناصرِ التراثِ اللاماديِّ.
  - عوائـقُ متعلقـةٌ بحقـوقِ النـشرِ والملكيـةِ الفكريـةِ ذاتِ الصلـةِ بالـتراثِ اللامـاديِّ وضرورةِ العمـلِ عليهـا بشـكلٍ واضحٍ ويحفظُ حقوقَ العاملينَ فيها.

- العولمةُ، وزوالُ التراثِ بدونِ توثيقهِ بل وتشويههِ أحيانًا بسببِ الانفتاحِ على ثقافاتٍ أخرىَ، مع عدمِ القدرةِ على الحفاظِ على خصوصياتِ كلِّ مجتمعٍ وعاداتهِ، ومع عدمِ وجودِ قوانينَ وأطرٍ واضحةٍ من شأنها حمايةَ الحقوقِ الثقافيةِ لمختلفِ المجتمعاتِ في سوريا يبرزُ هذا الخطرُ الذي يهددُ الثقافاتِ المحليةِ على اختلافِها.

- الحربُ بِما تَضمَّنَتهُ من الهجرةِ والنُّزوحِ القسريِّ والتَّشريدِ وأوضاعٍ أمنيَّةٍ سيِّئَةٍ، وتأثير ذلك على عدَّةِ مُستوياتٍ:
  - تغييراتُ ديمغرافيةٍ وضياعُ سلسلةِ الموادِ المتداولةِ شفوياً، بما في ذلك هجرةُ الحرفيينَ وأصحابِ المهنِ، إلى جانب ابتعادِ الأجيالِ الجديدةِ عموماً عن كلِّ ما يرتبطُ بالتراثِ و"القديم". تقولُ ثريا حجازي من منظمةِ "مسارات إبدالية": "كثيرٌ من الحرفيينَ والموسيقيينَ والرواةِ التقليديينَ فقدوا بيئاتهمْ أو هاجروا."
  - فقدانٌ متواترٌ للكوادرِ البشريةِ المدربةِ على حفظِ التراثِ بسببِ الحربِ والهجرةِ المستمرةِ منذ سنواتٍ. يقولُ طوني شمعون من "فرقة بارمايا للفلكلورِ السرياني": "الفلكلورُ يحتاجُ لتدريبٍ على مدى سنواتٍ وبعد بذلِ الجهودِ على مدةِ سنينَ يهاجرُ المنتسبُ ويعيدنا لنقطةِ البدءِ مع أشخاصٍ آخرينَ."
  - الظروفُ الاقتصاديةُ السيئةُ وما خلفتهُ من إهمالٍ لأي اهتمامٍ ثقافيٍّ مقابلَ السعي وراء أبسطِ سبلِ العيشِ. كما أن انعدامَ الدعمِ الماديِّ يضطرُّ العاملينَ بمجالِ الثقافةِ والتراثِ للانشغالِ بأعمالِهم الخاصةِ ليأمنوا متطلباتِ عيشِهم دون إمكانيةِ دعمِهم للتفرغِ للعملِ الفنيِّ والثقافيِّ، ويضافُ إلى ذلك ضعفُ تسويقِ المنتجاتِ التراثيةِ ما يؤدي إلى إهمالِها واندثارِها لكونِها لم تعد مصدرَ عوائدَ ماديةٍ كافيةٍ للعاملينَ فيها. تشيرُ إجابةُ منى أراكيلي من مشروعِ "خيوط الأمل - أغباني" إلى أنه "انكفأ الحرفيونَ القدامى كالطباعينَ عن مهنةِ الأغباني وتوجهوا لمهنٍ أخرى لشحِّ الطلبِ على المنتجاتِ بسببِ تراجعِ السياحةِ وتدهورِ الوضعِ الاقتصاديِّ."

- قصورُ الرؤيةِ العامَّةِ بما يَخصُّ التراثَ اللاماديَّ، من خلالِ اختصارِ القضيَّةِ بالأعمالِ اليدويةِ التقليديةِ وبعضِ الأطعمةِ، والتعاملِ مع التراثِ على أنه "تريند"، وعدمِ الإقرارِ بأهميتهِ وما يمكن أن يلعبهُ من أدوارٍ في بناءِ السلامِ، وحتى استغلالِه أحيانًا لأغراضٍ سياسيةٍ.
- تهميشُ الثقافاتِ المحليةِ في الخطابِ العامِّ، وعدمُ جديةِ التعاطي معها من قبل المؤسساتِ الثقافيةِ الرسميةِ.

2) التُّراثُ المادّي

- الحروبُ والنزاعاتُ والتي تسببت في التدميرِ والنهبِ والتخريبِ للمواقعِ والمعالمِ الأثريةِ والمتاحفِ، وفتحت المجالَ بشكلٍ واسعٍ لتهريبِ القطعِ الأثريةِ والتراثِ الثقافيِّ خارجَ البلادِ، والتنقيبِ العشوائيِّ عن الآثارِ والذي زادت وتيرتُه بشكلٍ ملحوظٍ في الفترةِ التي تلت سقوطَ نظامِ الأسدِ، بمقابلِ الإهمالِ وغيابِ أيِّ جهودٍ رسميةٍ أو مواردَ كافيةٍ للترميمِ وحمايةِ الآثارِ.
- التطويرُ العمرانيُّ غيرُ المدروسِ الذي قد يهدد المواقعَ القديمةَ والأبنيةَ التراثيةَ ويتسبب في فقدانِ معالمٍ مهمةٍ. هنا تشيرُ ثريا حجازي من منظمةِ "مسارات إبدالية" إلى أن: "تحويلُ التراثِ إلى "ديكورٍ" من خلال الخصخصةِ والتسليعِ بتحويلِ المناطقِ الأثريةِ إلى مطاعمَ ومقاهي يهدد خصوصيةَ هذهِ المناطقِ" كما تشيرُ إحدى الإجاباتِ، كذلك فإن التوسعَ العشوائيَّ في البناءِ بعد الحربِ قد يهدد بعضَ المواقعِ التراثيةِ وخصوصيةَ الأماكنِ القديمةِ.
- عدمُ وجودِ خططٍ عمرانيةٍ واضحةٍ لإعادةِ الإعمارِ تحفظُ هويةَ الأماكنِ وعاداتِ أهلِها وثقافاتهِم: تشيرُ ثريا حجازي إلى أن "المشاريعَ المنفذةَ تحت شعارِ إعادةِ الإعمارِ قد تكون أداةً لمحو آثارِ الحربِ وإعادةِ هندسةِ الهويةِ، والخطرُ أن يعاد بناءُ المكانِ ليخفي ما جرى، بدلًا أن يشهدَ عليه". وتشيرُ هناء لطوف من "رابطة التنمية الريفية" إلى أن "الامتدادَ العمرانيَّ الذي يهدد المواقعَ الأثريةَ وخاصةً في هذهِ المرحلةِ بعد انتهاء الحربِ وعودةِ النازحينَ في ظل غيابِ ضابطةِ بناءٍ توضحُ حرمَ لتلكَ المواقعِ واندفاعَ العائلاتِ باتجاهِ البناءِ بعد العودةِ من النزوحِ، والهدمَ المتعمدَ لتلكَ المواقعِ بسببِ الخوفِ من الاستيلاءِ على أجزاءٍ من العقارِ الذي يتواجدُ بهِ الموقعُ الأثريُّ من قبلِ الحكومةِ مستقبلاً."
- ابتعادُ المجتمعِ عن زيارةِ الأماكنِ الأثريةِ وبالتالي الارتباطِ بها كجزءٍ من الهويةِ.

3) التُّراثُ عُموماً

- الإهمالُ والترهّلُ في المؤسساتِ المعنيةِ بالتراثِ، وعدمُ وجودِ استراتيجيةٍ حقيقيةٍ وجديةٍ ومشاريعَ فعليةٍ لصونِ التراثِ، وكذلك عدمُ وجودِ مواردَ كافيةٍ لحمايتهِ، بمقابلِ احتكارِ هذا النوعِ من العملِ بجهاتٍ معينةٍ وسيطرةِ السلطةِ على المؤسساتِ الثقافيةِ، وهي تملكُ الكثيرَ من النفوذِ والقليلَ من الخبرةِ.
- ضعفُ الدعمِ الماديِّ والمؤسسيِّ للمبادراتِ الثقافيةِ الشبابيةِ ما يحدُّ من استدامةِ جهودِ حفظِ التراثِ وإحيائهِ، وضعفُ منظماتِ المجتمعِ المدنيِّ المختصةِ أو الداعمةِ لحفظِ التراثِ السوريِّ.
- عدمُ وجودِ تطبيقٍ صارمٍ وواضحٍ لأيِّ قوانينَ من شأنها حمايةَ التراثِ.
- انتشارُ التطرفِ ومحاربةُ الفنونِ ضمن بعضِ المناطقِ والسياقاتِ، ومحوُ الهويةِ الثقافيةِ لمناطقَ أخرىَ، كما هو حالُ عفرينَ والرقةِ على سبيلِ المثالِ، بسببِ الحربِ والتغييراتِ الديمغرافيةِ وسيطرةِ سلطاتٍ أمرٍ واقعٍ متعاقبةٍ على هذهِ المناطقِ، وفي مثالٍ آخرَ فرضُ سياساتٍ خارجيةٍ مثل سياساتِ التتريكِ في حلبَ. إلى جانبِ عدمِ القدرةِ على ممارسةِ أيِّ عملٍ ثقافيٍّ أو تراثيٍّ في ظلِّ تدهورِ الأوضاعِ الأمنيةِ، كما هو الحالُ في محافظةِ السويداءِ أثناءَ فترةِ العملِ على الورقةِ البحثيةِ.
- التغيرُ المناخيُّ وما يسببهُ من تهديدٍ لكثيرٍ من عناصرِ التراثِ المرتبطةِ بالهوياتِ المحليةِ.ضعف الوعي لدى
- بعض الفئات بأهمية التراث، خاصة بين الشباب، نتيجة لانشغالهم بقضايا المعيشة والنزوح، وتغييبهم عن قضايا التراث الخاص بمناطقهم، ما يؤدي لإهمال التراث أو لتدمير أو تغيير المعالم القديمة دون إدراك لقيمتها.
- ضعفُ الوعيِ لدى بعضِ الفئاتِ بأهميةِ التراثِ، خاصةً بينَ الشبابِ، نتيجةَ لانشغالِهم بقضايا المعيشةِ والنزوحِ، وتغييبِهم عن قضايا التراثِ الخاصِّ بمناطقِهم، ما يؤدي لإهمالِ التراثِ أو لتدميرِ أو تغييرِ المعالمِ القديمةِ دون إدراكٍ لقيمتِها.

يبينُ كلُّ ذلك وجودَ وعيٍ كبيرٍ لدى المشاركينَ في الاستبيانِ لمجملِ المخاطرِ التي تهددُ اليومَ التراثَ بشقيهِ الماديِّ واللاماديِّ، مع ضرورةِ العملِ لمواجهتِها، مقدمينَ جملةَ توصياتٍ بهذا الخصوصِ، نذكرها في الفقرةِ الأخيرةِ الخاصةِ بالتوصياتِ.

5 النَّشاطُ الثقافيُّ والسِّلمُ الأهليُّ

لا يمكنُ تعريفُ مفهومِ السلمِ الأهليِّ بمعزلٍ عن مفهومِ بناءِ السلامِ المستدامِ كما وردَ في قراري الجمعيةِ العامةِ (A/RES/70/262) ومجلسِ الأمنِ (S/RES/2282) للأممِ المتحدةِ لعامِ 2016 على أنه "هدفٌ وعمليةٌ لبناءِ رؤيةٍ مشتركةٍ للمجتمعِ، تضمنُ مراعاةَ احتياجاتِ جميعِ فئاتِ السكانِ، ويشملُ الأنشطةَ التي تهدفُ إلى منعِ نشوبِ النزاعاتِ وتصعيدِها واستمرارِها وتكرارِها، ومعالجةِ الأسبابِ الجذريةِ، ومساعدةِ أطرافِ النزاعِ على إنهاءِ الأعمالِ العدائيةِ، وضمانِ المصالحةِ الوطنيةِ."

يعرفُ أوليفرُ ريتشموند، أستاذُ العلاقاتِ الدوليةِ ودراساتِ السلامِ والصراعِ في جامعةِ مانشستر، في كتابِهِ "السلام: مقدمة قصيرة جداً" 2014 السلمَ الأهليَّ على أنَّهُ "نوعٌ من السَّلامِ يقومُ على فكرةِ أنَّ كلَّ فردٍ في المجتمعِ لديه القدرةُ على حشدِ الجهودِ من أجلِ السلامِ من خلال عددٍ من المنظوراتِ المختلفةِ، مثلَ نزعِ السلاحِ أو التعاونِ الدوليِّ أو نبذِ العنفِ أو التمييزِ أو القمعِ. ويمكنُ أن ينشأَ هذا السلامُ من المنظماتِ المحليةِ وحملاتِها. ويتطورُ مع اندماجِ المنظماتِ والمجتمعاتِ والجهاتِ الفاعلةِ السياسيةِ حولَ الحاجةِ إلى العدالةِ الاجتماعيةِ."

يسعى هذا القسمُ من خلال نتائجِ الاستبيانِ إلى تحليلِ العلاقةِ بين العملِ الثقافيِّ وبناءِ السلامِ بوصفها علاقةً تتعلقُ بالسياقِ وطبيعةِ التدخلِ الثقافيِّ، والآلياتِ التي يفعّلُ من خلالها النشاطُ الثقافيُّ داخلَ المجتمعِ لخدمةِ هدفِ بناءِ السلامِ والتماسكِ المجتمعيِّ. وينظرُ إلى انخراطِ المؤسساتِ والمبادراتِ المحليةِ في دعمِ العدالةِ الاجتماعيةِ من خلال دعمِ الفئاتِ المهمشةِ، وتخفيفِ حدةِ النزاعِ أو الاستقطابِ في المجتمعِ، والتركيزِ على بناءِ أرضياتٍ مشتركةٍ تهدفُ لمعالجةِ أسبابِ الانقسامِ وبالتالي تؤثرُ على تخفيفِ العنفِ.

يسهمُ الفعلُ الثقافيُّ في السلمِ الأهليِّ عندما يعملُ على تفكيكِ أسبابِ الانقسامِ والعنفِ البنيويةِ والرمزيةِ، ويحاربُ التهميشَ والإقصاءَ، ويعيدُ الارتباطَ بشكلٍ أو بآخرَ بالهويةِ المحليةِ، ولا يكتفي بإنتاجِ أنشطةٍ ثقافيةٍ وفنيةٍ معزولةٍ عن السياقِ السياسيِّ والاجتماعيِّ.

وفي السياقِ السوريِّ، وكنتيجةٍ لتراكمِ الصراعاتِ والهوياتِ المغلقةِ والخوفِ المتبادلِ، تبرزُ الثقافةُ كمساحةٍ بديلةٍ عن السياسةِ المباشرةِ، تستهدفُ أسبابَ النزاعِ وتحاولُ تخفيفَ الاستقطابِ. وتكمنُ قوةُ الفعلِ الثقافيِّ في العديدِ من الأمثلةِ ليس في مواجهةِ الانقسامِ بخطابٍ رومانسيٍّ و/أو متعالٍ، بل في القدرةِ على العملِ على مستوياتٍ أعمقَ لإعادةِ بناءِ الثقةِ كالذاكرةِ، والتجربةِ المشتركةِ، والمشاعرِ والسردياتِ الجماعيةِ التي تساهمُ بدورها في مواجهةِ العنفِ، وإعادةِ ترميمِ الروابطِ الاجتماعيةِ.

وقد أكَّدَتْ أغلبيَّةُ المُبادَراتِ قيدَ الدراسةِ استجابتها لهدفِ السلمِ الأهليِّ والتماسكِ المجتمعيِّ عبر تدخلاتٍ متنوعةٍ، تختلفُ باختلافِ السياقِ المحليِّ، وتخصصِ المبادراتِ وطبيعةِ الأدواتِ المستخدمةِ. وبناءً عليهِ صُنفتِ الإجاباتُ ضمن محاورَ تركزُ على أنماطِ التدخلِ وآلياتهِ ومستوياتِ تأثيرهِ المتباينةِ، بما يتيحُ قراءةً أكثرَ وضوحاً لكيفيةِ ارتباطِ الفعلِ الثقافيِّ عملياً بمساراتِ بناءِ السلمِ الأهليِّ.

على خلافِ الاستجابةِ الآنيةِ التي تتميزُ بها برامجُ الإغاثةِ، يتطلبُ العملُ على مساراتِ السلمِ الأهليِّ والمستدامِ فعلاً تراكمياً طويلَ الأمدِ، لا يمكنُ تقييمُ نتائجهِ بشكلٍ مباشرٍ أو فوريٍّ، وهو ما يميزُ التدخلَ الثقافيَّ الذي يركزُ بشكلٍ أساسيٍّ على التحولاتِ البطيئةِ والنتائجِ بعيدةِ الأمدِ.

وتعكسُ عبارةُ "الثقافةُ اليومَ ليست ترفاً بل ضرورةً" التي تكررت ضمن أكثرِ من إجابةٍ في الاستبيانِ، وعياً ومعرفةً حقيقيينَ لدى العديدِ من الفاعلينَ في سوريا لأهميةِ العملِ الثقافيِّ الجدّيِّ والمنخرطِ ضمن مختلفِ مساراتِ السلمِ والعدالةِ والتعافي المجتمعيِّ.

جلساتُ الحِوارِ كأداةٍ لِتَعزيزِ التَّماسُكِ المُجتَمَعيِّ وإعادةِ بناءِ الرَّوابِطِ المُجتَمعيّة

يعتبرُ هذا النمطُ الأكثرَ تكراراً ضمن أنماطِ الاستجابةِ من حيثُ إمكانيةِ تضمينهِ في أيِّ نشاطٍ يعتمدُ على اللقاءِ بينَ أفرادٍ متنوعينَ ومتباينينَ في المواقفِ والخلفياتِ والانتماءاتِ. وتشيرُ نتائجُ الاستبيانِ إلى الدورِ الذي تؤديهُ جلساتُ الحوارِ على تنوعِها في إعادةِ بناءِ الروابطِ بينَ مكوناتِ المجتمعِ السوريِّ، كمساحةٍ لتفكيكِ الخوفِ والعزلةِ، وكسرِ الصورِ النمطيةِ وإعادةِ تعريفِ الآخرِ من خلالِ التجربةِ، خاصةً في ظلِّ الاستقطابِ الحادِّ الذي خلفتهُ السياساتُ الإقصائيةُ التي مورست على المجتمعِ السوريِّ لسنواتٍ، بالإضافةِ إلى القطيعةِ الحادةِ التي خلفتها سنواتُ الحربِ بينَ مختلفِ المناطقِ السوريةِ. مع الإشارةِ إلى عدمِ استخدامِ أدواتٍ علميةٍ على الدوامِ لقياسِ هذا الدورِ والأثرِ.

ورغم اختلافِ منهجياتِ العملِ بينَ المبادراتِ قيدَ الدراسةِ، إلا أنها تتقاطعُ عندَ هدفٍ أساسيٍّ هو خلقُ مساحاتٍ آمنةٍ تعيدُ التواصلَ بينَ مجتمعاتٍ انقطعت علاقتُها ببعضها البعضِ، وبناءُ ثقةٍ جديدةٍ قائمةٍ على المعرفةِ المتبادلةِ لا على التصوراتِ المسبقةِ.

أوّلاً: الحواراتُ المرتَبطةُ بِشكلٍ مباشرٍ بِموضوعِ السِّلمِ الأهليِّ

يشكلُ التغييرُ السياسيُّ والاجتماعيُّ تحدياً جوهريّاً لأيِّ مجتمعٍ بما يتعلقُ بالحفاظِ على السلمِ الأهليِّ، بالأخصِّ في سياقٍ معقدٍ ومتخمٍ بسياساتِ القمعِ والتهميشِ الممنهجِ التي استمرَّ لعقودٍ، كما في السياقِ السوريِّ. فقد أسهمَ غيابُ الشفافيةِ حولَ مساراتِ العدالةِ الانتقاليةِ، واستمرارُ الانتهاكاتِ الجسيمةِ، وغيابُ العدالةِ على مختلفِ المستوياتِ، بزيادةِ عمقِ الشرخِ الموجودِ في المجتمعِ، وتكريسِ انعدامِ الثقةِ بينَ مكوناتهِ. وبالتالي يشكلُ الحوارُ وكسرُ العزلةِ عاملاً مساعداً بشكلٍ كبيرٍ على إعادةِ بناءِ الروابطِ الاجتماعيةِ وآليةً حيويةً لمعالجةِ آثارِ الانقسامِ المتراكمِ.

وبناءً عليهِ تسعى المبادراتُ التي تنظمُ حواراتٍ دوريةٍ لفتحِ فضاءاتٍ آمنةٍ للحوارِ وتبادلِ الأفكارِ ووجهاتِ النظرِ، لتكونَ الغايةُ الرئيسيةُ تفكيكَ الاستقطابِ وإعادةَ بناءِ الثقةِ بينَ فئاتٍ ومكوناتٍ عاشت طويلاً في حالةٍ من العزلِ المتبادلِ، سواءٌ كانَ عزلاً جغرافياً ناتجاً عن الحصارِ والسيطرةِ السياسيةِ، أو عزلاً رمزياً وفكرياً نتجَ عن تكريسِ الصورِ النمطيةِ وشيطنةِ الآخرِ كسياسةٍ ممنهجةٍ استخدمها نظامُ الأسدِ لإضعافِ المجتمعِ وضمانِ استمراريةِ حكمهِ.

تقدمُ "شبكةُ نولٍ للسلمِ الأهليِّ" التي تأسست مع نهايةِ شهرِ كانون الثاني 2025 نموذجاً واضحاً لهذا التوجهِ، ويدلُّ تاريخُ تأسيسها على الحاجةِ الملحةِ لفتحِ مساحاتِ حوارٍ في المرحلةِ الانتقاليةِ التي تلت سقوطَ نظامِ الأسدِ، وما رافقها من تصاعدٍ في التوتراتِ والانقساماتِ. وتركزُ جلساتها الحواريةُ، مثلَ "مضافةِ السوريين" و"قولٍ وفعلٍ"، على مفاهيمِ السلمِ الأهليِّ، ودورِ المجتمعِ المدنيِّ والأهليِّ في حمايتهِ، إضافةً إلى دورِ الأمنِ في بناءِ السلامِ ومفاهيمِ الشرطةِ المجتمعيةِ. وتعملُ الشبكةُ على عدةِ مساراتٍ متوازيةٍ:

- استثمارُ كلِّ نشاطٍ مدنيٍّ كفعلٍ يخدمُ السلمَ الأهليَّ، عبر النظرِ إلى كلِّ نشاطٍ اجتماعيٍّ أو ثقافيٍّ كفرصةٍ للحوارِ، وتخفيفِ التوترِ وتبادلِ وجهاتِ النظرِ لتعزيزِ الثقةِ بينَ المشاركينَ.
- تحويرُ الصراعِ من قوميٍّ طائفيٍّ إلى صراعِ مصالحَ قابلٍ للنقاشِ والتفاوضِ عن طريقِ النقاباتِ والاتحاداتِ وغرفِ التجارةِ.
- تعزيزُ مشاركةِ النساءِ في المرحلةِ الانتقاليةِ من خلالِ الملتقى النسائيِّ السوريِّ، بما يساهمُ في إدخالِ مقارباتٍ حساسةٍ وأكثرَ شموليةً لعمليةِ الحوارِ وبناءِ السلامِ.
- تناولُ ملفاتِ العدالةِ الانتقاليةِ والمشاركةِ السياسيةِ، باعتبارها قضاياً جوهريةً لا يمكنُ تحقيقُ السلمِ الأهليِّ دون معالجتِها بشكلٍ مباشرٍ وصريحٍ.

كذلك تنفذُ مؤسسةُ "بادرَ للتنميةِ المجتمعيةِ" في مدنِ القامشلي وعامودا ورشاتٍ تدريبيةٍ وجلساتٍ حواريةٍ تستهدفُ مختلفَ شرائحَ ومكوناتِ المجتمعِ تحتَ عناوينَ الفرقِ بينَ حريةِ التعبيرِ وخطابِ الكراهيةِ، ومكافحةِ الأخبارِ الكاذبةِ والمضللةِ، مع مقاربةٍ نقديةٍ للمحتوى الإعلاميِّ، إيماناً بأهميةِ العملِ بمواجهةِ تصاعدِ خطابِ الكراهيةِ وتأثيرِ ذلك على السلمِ الأهليِّ والمجتمعيِّ.

وتعملُ منظمةُ "شبابِ الغدِ السوريِّ" في ريفِ دمشق ومنذ سقوطِ النظامِ على "التوعيةِ المباشرةِ باللجوءِ للقانونِ وعدمِ الانجرارِ نحو أخذِ الثأرِ باليدِ، وتنفيذِ حواراتٍ بينَ فئاتٍ مختلفةٍ من مجتمعاتٍ مختلفةٍ كالمقيمينَ والعائدينَ والمؤيدينَ والثائرينَ والمتعلمينَ وغيرِ المتعلمينَ."

ثانياً: كَسْرُ العُزلَةِ عبرَ جولاتٍ فيزيائيّةٍ بينَ المناطقِ المُختلفَةِ

خلالَ سنواتِ الحربِ ونتيجةً للانقساماتِ السياسيةِ وتردّي الأوضاعِ الأمنيةِ، أصبحَ التنقُّلُ بينَ المناطقِ والمحافظاتِ محدوداً للغايةِ، وحتّى ما قبلَ بدءِ الثورةِ السوريةِ لم تكن فكرةُ التنقُّلِ والتعرُّفِ إلى المناطقِ والثقافاتِ الأخرى والبعيدةِ مألوفةً سوى لأغراضٍ سياحيةٍ نمطيَّةٍ جداً، سواءً من حيثُ المناطقِ أو من حيثِ طبيعةِ هذهِ السياحةِ التي تكتفي بالأفعالِ الاعتياديةِ دونَ الخوضِ في عمقِ المجتمعاتِ ومعرفتها. وفي مواجهةِ ذلك، تلجأُ مجموعةُ مبادراتٍ إلى السفرِ وتبادلِ الزياراتِ داخلَ سوريا بهدفِ التعرفِ على الثقافةِ المحليةِ كمدخلٍ حيويٍّ للحوارِ من خلالِ التجاربِ الشخصيةِ للأفرادِ.

ففي مبادرةِ "التينِ الهبول" لمجموعةِ "بلدنا ثروتنا"، اعتُمِدَتِ المنتجاتُ المحليةُ كأداةٍ لبناءِ جسورِ الحوارِ وسماعِ الروايةِ بلسانِ الآخرِ بينَ سيداتٍ من مصياف ونساءٍ من الغوطةِ الشرقيةِ. وكشفتِ اللقاءاتُ عن تجاربَ معيشيةٍ لم تكن معروفةً مسبقاً، وأسهمت في تشكيلِ مساحاتٍ للتعاطفِ والتفاهمِ رغمَ ثقلِ السياقاتِ النفسيةِ. وتؤكدُ مؤسسةُ المبادرةِ السيدةُ ناديةُ حلمي أنه "لا يمكن ربما الحديثُ عن أثرٍ مباشرٍ وواضحٍ لهذهِ الزياراتِ خاصةً أنها لم تكن سهلةً نفسياً، لكن على الأقل نتعرف إلى ما حصلَ في مناطقَ أخرى." وتربطُ صعوبةَ الواقعِ الاقتصاديِّ اليومَ في سوريا كعقبةٍ أساسيةٍ أمامَ كلِّ هذهِ الجهودِ.

وعلى نحوٍ مشابهٍ، عملتْ منظمةُ "أركان للتنميةِ" على مبادرتي "بساطِ الجنوب" و"أمِّ الغيث" قبلَ سقوطِ النظامِ بسنواتٍ، بهدفِ تخفيفِ التوترِ القديمِ بينَ محافظتي درعا والسويداء. فقد ساهمتِ الزياراتُ المتبادلةُ والحكايا الشعبيةُ المشتركةُ في تبديدِ المخاوفِ بينَ شاباتٍ وشبابِ المحافظتين، وبناءِ علاقاتٍ شخصيةٍ استمرت لاحقاً. وتشيرُ شهاداتُ المشاركينَ إلى ارتفاعِ مستوى الوعي خلالَ الأحداثِ الأخيرةِ في السويداء، إذ باتَ الأفرادُ قادرينَ على التمييزِ بينَ المسؤوليةِ الفرديةِ والانتماءِ الجماعيِّ، ما يعكسُ أثراً فعلياً على السلوكِ الاجتماعيِّ.

وتعملُ منظمةُ "مساراتٍ إبداليةٍ" على تنظيمِ رحلاتٍ تبادلٍ بينَ المحافظاتِ للتعريفِ بالسردياتِ نفسها من أهلِها وخلقِ مساحةٍ جامعةٍ، مع الاستفادةِ من أدواتٍ منها الرسمُ والموسيقى، ومختبراتُ تبادلِ الأدوارِ. وهو أمرٌ ينفذهُ أيضاً مركزُ "مارونا" في إدلب إذ ينظمُ برامجَ منها "هوب هوب سوريا" وهو عبارةٌ عن رحلاتٍ بينَ المدنِ السوريةِ لإعادةِ التواصلِ بينَ المجتمعاتِ المنقسمةِ، و"لمةِ أهلٍ" لبناءِ جسورٍ بينَ النساءِ النازحاتِ والمقيماتِ عبرَ التراثِ الغذائيِّ.

وتعملُ جمعيةُ "سوقِ الضيعةِ" في اللاذقيةِ على "خلقِ نقاطِ لقاءٍ بينَ الريفِ والمدينةِ مما ساعدَ بكسرِ الحواجزِ الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ، وخلقِ جوٍّ آمنٍ لتبادلِ المعرفةِ والمواردِ ولتعزيزِ التفاهمِ والتماسكِ المجتمعيِّ بينَ أفرادٍ من خلفياتٍ مختلفةٍ، مثلاً إحدى السيداتِ من المدينةِ تقول أنه أصبح لديها عادةٌ أسبوعيةٌ لزيارةِ سوقِ الضيعةِ للاستماعِ بالحديثِ مع السيداتِ الريفياتِ."

وهنا يمكنُنا الحديثُ كذلك عن الحواراتِ المحليةِ التشاركيةِ، وتكمنُ أهميةُ هذهِ المقاربةِ في نقلِها لآلياتِ الحوارِ والتشاورِ إلى الأحياءِ والقرى والمساحاتِ غيرِ الرسميةِ، مما يسمحُ لها بإشراكِ فئاتٍ مهمشةٍ لا تصل عادةً للحواراتِ المركزيةِ، وتعيدُ توزيعَ خريطةِ المركزيةِ الثقافيةِ. في هذا السياقِ تستعدُّ مؤسسةُ كفوةَ، لتنفيذِ مشروعِ "مكرو كفوة"، الذي يعتمدُ جلساتٍ حواريةٍ متنقلةٍ مع النساءِ في الأحياءِ والقرى المهمّشةِ بهدفِ الاستماعِ لواقعِهن، وتحديدِ أولوياتِهنَّ بوصفها مدخلاً لمناصرةِ قضاياهنَّ، وتعززُ من تحديدِ إمكانيةِ تنفيذِ مبادراتٍ مجتمعيةٍ ملائمةٍ للسياقِ وللمواردِ بما يتسق مع تفعيلِ شعورِ المواطنةِ. ترافقُ الجلساتُ أنشطةً إبداعيةً، وفعالياتٍ تشاركيةً مثلَ إعدادِ أطباقٍ جماعيةٍ ومسيراتٍ في الطبيعةِ، في محاولةٍ لخلقِ مساحاتٍ آمنةٍ للحوارِ والتفاعلِ.

ثالثاً: الحواراتُ ضمنَ وَرشاتِ العَمَلِ على اختِلافِ مَضامينِها

تتيحُ تدخلاتُ المجتمعِ المدنيِّ المختلفةِ فرصاً للقاءٍ وتشكيلِ تجاربِ مشتركةٍ، مما يشكلُ أرضيةً يمكنُ البناءُ عليها بفعلٍ تراكمِيٍّ غيرِ معزولٍ عن التجاربِ الشخصيةِ. وتكمنُ خصوصيةُ هذهِ المشاريعِ بأنها تتعدّى مفهومَ الحوارِ بوصفهِ نقاشاً مباشراً حولَ الخلافاتِ، إلى معالجتِها ضمن سياقٍ إبداعيٍّ وتجريبيٍّ، يخففُ من حدةِ التوترِ ويتيحُ الفرصةَ للتعبيرِ بشكلٍ غيرِ مباشرٍ عن القضايا الحساسةِ، مما يجعلُ الانخراطَ فيها أقلَّ تهديداً، ويتيحُ قابليةً أعلى لعمليةِ بناءِ الثقةِ.

تشيرُ عدةُ مبادراتٍ، مثلَ "شبكةِ نولٍ للسلمِ الأهليِّ"، إلى دورِ برامجِ المصالحةِ المحليةِ في تعزيزِ العلاقاتِ بينَ المكوناتِ المختلفةِ، وتقليلِ التوترِ والحدِّ من التصعيدِ. وقد أسهمتْ ممارساتٌ بسيطةٌ مثلَ إقامةِ التعازي المشتركةِ أو جلساتِ التوعيةِ في إعادةِ بناءِ جزءٍ من النسيجِ المجتمعيِّ المتضررِ، من خلالِ إظهارِ التعاطفِ والمبادرةِ تجاهَ الآخرِ، مما يساهمُ في تخفيفِ الانقسامِ بالمجتمعِ.

وتعملُ "المجموعةُ اللاعنفيةُ السوريةُ - سلم" عبر تدريباتٍ حولَ ثقافةِ اللاعنفِ وتنظيمِ جلساتِ إصغاءٍ يشتركُ فيها أشخاصٌ متنوعونَ، بهدفِ الاستماعِ المتبادلِ دونَ أحكامٍ، بالإضافةِ إلى تدريبِ مدربينَ حولَ ثقافةِ اللاعنفِ وإدارةِ جلساتِ الإصغاءِ. ما يضمنُ نقلَ المعارفِ وتنميةَ القدراتِ المحليةِ للتحليلِ والمساهمةِ في مجابهةِ خطابِ العنفِ على مستوى الأفرادِ وصدى تأثيرِهم بمحيطِهم.

وفي حلبَ، تُركِّزُ ورشاتُ مؤسَّسةِ "بادرَ للتنميةِ المجتمعيةِ" على مفهومِ خطابِ الكراهيَّةِ، والتمييزِ بينَه وبينَ حُريةِ التعبيرِ، مع تحليلِ دورِ الإعلامِ في تقويضِ أو تعزيزِ خطابِ الكراهيةِ وخطورةِ انتشارهِ في المحتوى الإعلاميِّ ووسائلِ التواصلِ الاجتماعيِّ.

أما "مجتمعُ حمصَ السينمائيُّ" فيستخدمُ السينما كوسيطٍ للحوارِ، من خلالِ عروضٍ مشتركةٍ وورشٍ تفاعليةٍ تجمعُ فئاتٍ متنوعةً وتفتحُ نقاشاتٍ حولَ قضاياً اجتماعيةٍ وسياسيةٍ، وتدعمُ مشاركةَ النساءِ في الأدوارِ القياديةِ داخلَ العملِ المجتمعيِّ والسلامِ.

النّشاطُ الثّقافيُّ كَحاملٍ لأدواتِ ومفاهيمِ السِّلمِ الأهليِّ والتّماسُكِ المُجتَمعيِّ

لطالما ارتبطَ النشاطُ الثقافيُّ والفنيُّ بمساراتِ التحولِ الاجتماعيِّ وبناءِ السلامِ، خاصةً في سياقاتٍ ما بعدَ الحروبِ والبيئاتِ المتأثرةِ بالنزاعاتِ، حيثُ يمكنُ أن "تساهمَ الفنونُ في زيادةِ الوعي بتأثيراتِ العنفِ، وتمكينِ التعبيرِ عن الثقافةِ بطرقٍ مميزةٍ، وتوفيرِ فرصٍ للتعاونِ بينَ الثقافاتِ، وتجسيدِ وسائلَ عاطفيةٍ وجماليةٍ للتعاملِ مع الصدماتِ النفسيةِ والشفاءِ."

على الرغمِ من هذهِ القدرةِ التوحيديةِ التي يحملها النشاطُ الثقافيُّ، تؤكدُ منظمةُ الأونيسكو في تقريرٍ نشرتهُ سنةَ 2021 ازديادَ استغلالِ الثقافةِ خلالَ السنواتِ العشرينَ الأخيرةِ لأغراضٍ تثيرُ الانقسامَ، بشكلٍ أثرَ على إطالةِ أمدِ الأزماتِ، وإنكارِ حقوقِ الإنسانِ بما في ذلك الحقوقِ الثقافيةِ. وتؤكدُ الأونيسكو أن "حمايةَ الثقافةِ ليست مجردَ مسألةٍ ثقافيةٍ؛ بل أصبحت ضرورةً أمنيةً". فقد شهدَ العقدانِ الماضيانِ هجماتٍ متعددةً على التراثِ الثقافيِّ وإساءةِ استخدامِه والفنونِ والثقافةِ، من قبلِ تكريسِ الدعايةِ السلبيةِ تجاهَ موضوعٍ أو جماعةٍ محددةٍ، أو المساهمةِ بالانقسامِ من خلالِ التدميرِ الممنهجِ لتراثٍ ما أو إنكارِ الحقوقِ الثقافيةِ لبعضِ الجماعاتِ.

"بعدَ الحربِ في يوغوسلافيا السابقةِ في التسعينياتِ، كانت إعادةُ بناءِ جسرِ موستار في البوسنةِ والهرسكِ، المدرجِ على قائمةِ اليونسكو للتراثِ العالميِّ، ذاتَ دلالةٍ رمزيةٍ كبيرةٍ. لم يكن الأمرُ يتعلقُ فقط بإعادةِ بناءِ التراثِ إلى مجدهِ السابقِ، بل أيضاً بإعادةِ تأسيسِ الهويةِ والتضامنِ كجزءٍ من عمليةِ التعافي بعدَ الصراعِ. تضمنت اتفاقيةُ دايتون للسلامِ، التي أنهت الحربَ، أحكاماً تتعلقُ بحقوقِ الإنسانِ وعودةِ اللاجئينَ والمُشرَّدينَ، فضلاً عن حمايةِ التراثِ الثقافيِّ. شكّلتْ هذهِ العمَليَّةُ نقطةَ تحوُّلٍ خاصَّةً؛ حيث تم الاعتراف، لأوَّلِ مرَّةٍ في سياسةِ حلِّ النِّزاعاتِ الحَديثةِ، بالتُّراثِ الثقافيِّ كَعُنصرٍ أساسيٍّ للسَّلامِ المُستَدامِ."[3]

يؤكدُ تقريرُ مفوضيةِ الأممِ المتحدةِ الساميةِ لحقوقِ الإنسانِ لعامِ 2019 على أن الحقوقَ الاقتصاديةَ والاجتماعيةَ والثقافيةَ هي ركائزُ أساسيةٌ للبقاءِ على المسارِ الصحيحِ نحو تحقيقِ أهدافِ التنميةِ المستدامةِ.

وضمنَ هذا السياقِ، تشيرُ نتائجُ الاستبيانِ إلى الوعي لأهميةِ دورِ الثقافةِ والتراثِ كأحدِ أهمِّ المداخلِ غيرِ المباشرةِ لتعزيزِ السلامِ وخلقِ الأرضياتِ المشتركةِ بينَ المجتمعاتِ، فتخلقُ الفنونُ مساحةَ حوارٍ لا تستطيعُ السياسةُ أحياناً تأمينَها، كما أن لغةَ التواصلِ في السياقاتِ الفنيةِ والثقافيةِ تخلقُ مساحةً للتعاطفِ والمشاركةِ الوجدانيةِ.

فالسلمُ الأهليُّ، كما تشيرُ إحدى المبادراتِ، هو في جوهرهِ ممارسةٌ ثقافيةٌ، ولا يمكنُ مواجهةُ خطابِ العنفِ والكراهيةِ إلا عبرَ استراتيجيةٍ ثقافيةٍ طويلةِ الأمدِ تعززُ قيمَ المواطنةِ، وتفككُ البنيةَ المعقدةَ للعنفِ داخلَ المجتمعِ السوريِّ. ويتطلبُ ذلك عملاً ثقافياً شاملاً ومتدرجاً يشملُ مختلفَ الفئاتِ العمريةِ، ويرتبطُ برؤيةٍ وطنيةٍ جامعةٍ تمتدُّ على كلِّ المناطقِ، ويدورُ زوايا الخلافِ الموجودةِ اليومَ بكثرةٍ وعمقٍ في مختلفِ المناطقِ السوريةِ.

"إذا كنا نريدُ العملَ على بناءِ السلمِ، في ظروفٍ مثلَ الظروفِ الحاليةِ حيثُ الاحتدامُ والطائفيةُ والتجييشُ الأعمى بأعلى مستوياتهِ، نرى بأنه من الصعبِ الدخولُ على موضوعِ السلامِ بطريقةٍ مباشرةٍ. نرى بأنه من المفيدِ أكثر العملُ على مبادراتٍ صغيرةٍ مثلَ بناءِ فرنٍ ضمنَ منطقةٍ فيها أشخاصٌ من مرجعياتٍ مختلفةٍ يعملون ويأكلون معاً، أو تأهيلِ منطقةٍ بينَ محافظتينِ منقسمتينِ كانَ الناسُ يعتادون التنزهَ فيها وتحويلها إلى مكانٍ للقاءِ وبناءِ علاقاتٍ جديدةٍ." — إيمان الكفري، أركان للتنمية

---

[3] "Cutting Edge: Overcoming Barriers to Peace through Culture." UNESCO.Org, 31 Mar. 2021, www.unesco.org/en/articles/cutting-edge-overcoming-barriers-peace-through-culture. Accessed Jan. 2026.

بذلكَ يمكنُ الحديثُ عنِ الأنماطِ التاليةِ للنشاطِ الثقافيِّ في التصدي للعملِ على مفاهيمِ السلمِ الأهليِّ والتماسكِ المجتمعيِّ وفقَ المجموعاتِ المشاركةِ في الاستبيانِ.

أوّلاً: النّشاطُ الثّقافيُّ والفَنيُّ في إعادةِ الحياةِ للمَناطقِ المُهمّشةِ المُتضرِّرة

بعدَ عقودٍ طويلةٍ منَ التَّضييقِ والتَّهميشِ للعملِ الثَّقافيِّ والمدنيِّ في عمومِ أنحاءِ سوريا، ومعَ سقوطِ نظامِ الأسدِ، برزتِ الحاجةُ إلى تدخُّلاتٍ ثقافيَّةٍ تُعيدُ فتحَ المجالِ العامِّ وإحياءَ الحياةِ المدنيَّةِ في المناطقِ المهمَّشةِ والمتضرِّرةِ، ليسَ فقط على مستوى إعادةِ الإعمارِ الماديِّ المتعلِّقِ بالأبنيةِ والبنى التحتيَّةِ، وإنَّما استعادةُ وظيفةِ الفضاءِ العامِّ بوصفِهِ مساحةً مفتوحةً تعودُ ملكيَّتُها للنَّاسِ. وفي هذا السِّياقِ يُقدِّمُ الفنُّ إمكاناتٍ خاصَّةً لاختراقِ هذا الفضاءِ المغلقِ لعقودٍ، وإعادةِ تعريفِهِ كمناطقَ مفتوحةٍ للوجودِ المجتمعيِّ المشتركِ من خلالِ امتلاكِهِ والتفاعلِ معهُ ضمنَ التَّجاربِ الحسِّيَّةِ والجماعيَّةِ.

وتُظهِرُ نتائجُ الاستبيانِ اهتمامًا واسعًا لدى أغلبِ المجموعاتِ والأفرادِ قيدَ الدِّراسةِ بالعملِ معَ الفئاتِ المهمَّشةِ والمناطقِ الَّتي تعرَّضتْ لاستهدافٍ وتدميرٍ مباشرٍ خلالَ فترةِ الحربِ. ولا يقتصرُ العملُ معَ الفئاتِ المهمَّشةِ على استهدافِها بشكلٍ مباشرٍ ضمنَ برامجَ مخصَّصةٍ لها، بل يتَّخذُ أشكالًا متعدِّدةً وأكثرَ تعقيدًا، حيثُ يمكنُ للعملِ الثَّقافيِّ أن يُحدِثَ تأثيرًا ملموسًا في حياةِ هذهِ الفئاتِ دونَ أن يكونَ موجَّهًا إليها بشكلٍ صريحٍ.

يظهرُ ذلكَ من خلالِ تصميمِ وتنفيذِ برامجَ ثقافيَّةٍ داخلَ المدنِ والبلداتِ الَّتي عانتْ من تهميشٍ ثقافيٍّ أو خدماتيٍّ أو سياسيٍّ، أو في البيئاتِ الَّتي تعرَّضتْ للعنفِ والقصفِ، وكذلكَ العملُ معَ أفرادٍ ينتمونَ إلى هذهِ المناطقِ وإتاحةُ الفرصةِ لهم للِّقاءِ، وتبادلِ هويَّاتِهم الثَّقافيَّةِ المتنوِّعةِ، والمشاركةِ الفاعلةِ بالأنشطةِ الثَّقافيَّةِ.

فعلى سبيلِ المثالِ، يُحقِّقُ العملُ معَ شبابٍ وشابَّاتٍ منَ الهواةِ من مدنٍ مهمَّشةٍ ثقافيًّا مثلَ درعا والقنيطرةِ وديرِ الزورِ والرَّقَّةِ، ضمنَ مشروعِ "كورالِ غاردينيا" أثرًا يتجاوزُ النَّشاطَ الموسيقيَّ والفنِّيَّ ذاتَهُ، إذ يُوفِّرُ مساحةً آمنةً لتطويرِ المواهبِ والمشاركةِ الحيويَّةِ ويؤمِّنُ فضاءً فاعلًا لفئاتٍ كانتْ مستبعدةً منَ الحياةِ الثَّقافيَّةِ السُّوريَّةِ. ويتحقَّقُ هذا الأثرُ من خلالِ التَّجربةِ الجماعيَّةِ القائمةِ على العملِ المشتركِ، ممَّا يُولِّدُ روابطَ قادرةً على تأكيدِ الحضورِ الفاعلِ بالإضافةِ إلى إعادةِ الثِّقةِ على مستوى الممارسةِ اليوميَّةِ. فالمشاركةُ في الغناءِ أو العرضِ أو الحضورِ تُعيدُ إنتاجَ علاقاتٍ اجتماعيَّةٍ جديدةٍ، تقومُ على الاعترافِ المتبادلِ لا على الانتماءاتِ المسبقةِ.

وبالمثلِ، تُسهِمُ الفعاليَّاتُ الموسيقيَّةُ والفنِّيَّةُ الَّتي تُقامُ في مناطقَ متضرِّرةٍ أو مهمَّشةٍ في إعادةِ تنشيطِ الحيِّزِ العامِّ، وخلقِ فرصٍ للتَّلاقي، وتعزيزِ الشُّعورِ بالانتماءِ والاعترافِ. ويُشكِّلُ التَّركيزُ على حساسيَّةِ فهمِ السِّياقاتِ الخاصَّةِ والمعقَّدةِ لكلِّ منطقةٍ محورًا أساسيًّا في أيِّ تدخُّلٍ ثقافيٍّ أو مدنيٍّ، حيثُ يُساهمُ ربطُ الفنونِ المقدَّمةِ بالقضايا المحليَّةِ بترميمِ النَّسيجِ المجتمعيِّ من خلالِ استعادةِ الحقِّ في الظُّهورِ والاعترافِ المتبادلِ.

ويؤكِّدُ الحضورُ الكبيرُ لأهالي منطقةِ داريا بريفِ دمشقَ لحفلِ "كورالِ غاردينيا" ضمنَ فضاءِ المركزِ الثَّقافيِّ الَّذي شهدَ دمارًا واسعًا خلالَ سنواتِ الحربِ - وكانتْ يحملُ رمزيَّةً خاصَّةً في بدايةِ الثَّورةِ بوصفِهِ منطلقًا لأنشطةٍ ثوريَّةٍ وتوعويَّةٍ بعدَ أن كانَ مقرًّا حكوميًّا - أهميَّةَ الدَّورِ الَّذي يمكنُ أن تلعبَهُ الفنونُ في مساراتِ التَّعافي المجتمعيِّ، وفي إعادةِ تحميلِ الأماكنِ المدمَّرةِ بدلالاتٍ جديدةٍ مرتبطةٍ بالواقعِ والذَّاكرةِ المشتركةِ.

كذلكَ، يعملُ "مركزُ أدادَ للبحوثِ والدِّراساتِ" في السويداءِ على "ورشاتٍ موسيقيَّةٍ وفنِّيَّةٍ محليَّةٍ مثلَ رسمِ جداريَّاتٍ من قبلِ الأطفالِ تعبيرًا عن أحلامِهم في الحروبِ والأزماتِ الحاليَّةِ والمشاركةِ في مسارحَ تفاعليَّةٍ هدفُها تسليطُ الضَّوءِ على واقعِ النِّساءِ".

وتعملُ العديدُ منَ المجموعاتِ والمبادراتِ ضمنَ مناطقَ مختلفةٍ على توثيقِ جوانبَ معيَّنةٍ منَ الثَّقافةِ المحليَّةِ خاصَّةً تلكَ الثَّقافاتِ الأكثرِ تهميشًا والَّتي تعرَّضتْ لإهمالٍ متعمَّدٍ على مدىً طويلٍ، ويُساهمُ ذلكَ في إعادةِ الاعتبارِ لها ولأهميَّتِها سواءً على المستوى المحلِّيِّ أو المستوى الوطنيِّ.

وبالتالي يمكنُ اعتبارُ العملِ الثقافيِّ، سواءٌ كانَ موجَّهًا مباشرةً أو غيرَ موجَّهٍ، أداةً أساسيَّةً لإعادةِ وصلِ المجتمعاتِ المهمَّشةِ بالحياةِ الثقافيَّةِ والاجتماعيَّةِ والاقتصاديَّةِ، وتخفيفِ آثارِ العزلةِ، وتعزيزِ التماسكِ المجتمعيِّ من خلالِ المشاركةِ الرمزيَّةِ أو الفعليَّةِ في الفضاءِ الثقافيِّ. تشيرُ ناتالي بحادي من مجموعةِ "كراسي كوليكتف" في حلبَ إلى أنَّ "الاقتصاداتِ الَّتي تُدرِجُ الصناعاتِ الثقافيَّةِ والإبداعيَّةِ في دولابِها، تستفيدُ على المدى الطويلِ. كلَّما كانتْ لدينا مساحةٌ للعملِ الثقافيِّ، وركَّزنا على إنتاجِ الثقافةِ وليسَ فقط استهلاكَها، نكونُ على طريقِ دعمِ استقرارِ الاقتصادِ، وهذا الاستقرارُ مهمٌّ للسِّلمِ الأهليِّ".

ثانياً: دورُ النَّشاطِ الثقافيِّ في بناءِ السِّلمِ الأهليِّ

تُشكِّلُ الذاكرةُ التراثيَّةُ بُعدًا عاطفيًّا يخلقُ مشاعرَ إيجابيَّةً بينَ المجتمعاتِ الَّتي تحملُ عناصرَ متشابهةً ومترابطةً منهُ وبالتالي تُقرِّبُ فيما بينهم وتُخفِّفُ من عواملِ التوتُّرِ. تُركِّزُ "شبكةُ نولٍ للسِّلمِ الأهليِّ" "على أنَّ التراثَ هو أحدُ وسائلِ إثباتِ التَّشابهاتِ بينَ المجتمعاتِ وتأكيدِ تاريخيَّةِ وجذريَّةِ المكوِّناتِ في سوريا، كما أنَّهُ طريقٌ مقبولةٌ لدى المجتمعاتِ خصوصًا في ظلِّ الاستقطابِ الكبيرِ. على سبيلِ المثالِ حملةُ "لاكتبْ ورقٍ وأرسلِك" الَّتي تستندُ على أنَّ هذهِ الأغنيةَ هي رصيدٌ وتراثٌ مشتركٌ لدرعا والسويداءِ ومحاولةٌ لتوضيحِ المشتركاتِ بينَ المحافظتينِ". وتُشيرُ منظَّمةُ "فجَّةِ خرقٍ" إلى أنَّ "الموروثَ هو أحدُ المواردِ الَّتي يُعوَّلُ عليها كثيراً في بناءِ السِّلمِ الأهليِّ حيثُ إنَّهُ الموردُ الأكثرُ جاذبيَّةً من جهةٍ وكذلكَ الأكثرُ غنًى وتنوُّعًا".

وتُبرزُ إجاباتٌ متعدِّدةٌ أهميَّةَ الفضاءاتِ الثقافيَّةِ بوصفِها مناطقَ حياديَّةً تُتيحُ للنَّاسِ بناءَ علاقاتٍ مختلفةٍ وعدمَ الخوضِ في الاختلافاتِ. يشملُ ذلكَ الفعاليَّاتِ المسرحيَّةَ والموسيقيَّةَ والفنِّيَّةَ، وبرامجَ السِّينما والنِّقاشِ، والأنشطةَ الجماعيَّةَ حولَ الحِرفِ التقليديَّةِ أو الطقوسِ المشتركةِ، بما يُتيحُ إعادةَ بناءِ الثِّقةِ تدريجيًّا عبرَ التَّجربةِ المشتركةِ والعملِ الجماعيِّ. وتُشيرُ مجموعاتٌ مثلَ مؤسَّسةِ "مَوجِ التنمويَّةِ" و"شبكةِ نولٍ للسِّلمِ الأهليِّ" إلى أنَّ هذهِ الأنشطةَ تسمحُ بالتعارفِ والحوارِ وكسرِ الصُّورِ النمطيَّةِ.

وتظهرُ بعضُ المبادراتِ الموسيقيَّةِ كيفَ يمكنُ للفعلِ الفنِّيِّ الجماعيِّ أن يتحوَّلَ إلى أداةٍ مباشرةٍ لبناءِ التماسكِ المجتمعيِّ. فعلى سبيلِ المثالِ، تعتمدُ برامجُ الكورالِ المجتمعيِّ على الغناءِ الجماعيِّ بوصفِهِ ممارسةً تشاركيَّةً تخلقُ شعورًا بالانتماءِ، وتُخفِّفُ آثارَ الحربِ، وتوفِّرُ مساحةً آمنةً للتعبيرِ، خاصَّةً للأطفالِ واليافعينَ والنِّساءِ من خلفيَّاتٍ اجتماعيَّةٍ متباينةٍ.

ويُقدِّمُ "كورالُ أرجوانٍ" نموذجًا على ذلكَ، إذ يستقبلُ أطفالًا وبالغينَ من أُسرٍ محدودةِ الدَّخلِ ومن بيئاتٍ اجتماعيَّةٍ مختلفةٍ، ويوفِّرُ لهم تدريبًا شبهَ مجانيٍّ في محافظةِ طرطوسَ الَّتي تتميَّزُ بالتنوُّعِ الدِّينيِّ بالإضافةِ لمعاناتِها طويلًا منَ التهميشِ الثقافيِّ. لا يقتصرُ أثرُ البرنامجِ على التَّدريبِ الموسيقيِّ، بل يُسهمُ في بناءِ الثِّقةِ بالنَّفسِ، وتعزيزِ مهاراتِ التَّعاونِ والانضباطِ، وترسيخِ ثقافةِ العملِ الجماعيِّ. كما يُوسِّعُ برنامجُ "الموسيقى للجميع" أثرَ هذا التَّدخُّلِ عبرَ نقلِ الفعلِ الموسيقيِّ إلى الفضاءِ العامِّ، من خلالِ حفلاتٍ غنائيَّةٍ في السَّاحاتِ والشَّوارعِ والحدائقِ في المناطقِ المهمَّشةِ، بما يُعيدُ تفعيلَ الحيِّزِ العامِّ كمكانٍ لقاءٍ مشتركٍ، ويُعيدُ تعريفَ الثقافةِ بوصفِها حقًّا عامًّا لا نشاطًا نخبويًّا.

وتستخدمُ منظَّمةُ "بالونٍ" في الرَّقَّةِ أدواتٍ فنِّيَّةً مختلفةً لتعزيزِ التماسكِ المجتمعيِّ وبناءِ السَّلامِ ومعَ فئاتٍ متنوِّعةٍ، ومنها الرِّياضةُ والدُّمى معَ الأَطفالِ لعكسِ قيمِ التَّعاونِ والحوارِ والمشاركةِ الفاعلةِ، والسِّينما كأداةٍ تجمعُ الأهاليَ والأطفالَ لمناقشةِ قصصٍ إنسانيَّةٍ وتعزيزِ الاحترامِ المتبادلِ، وفهمِ التنوُّعِ الثقافيِّ من خلالِ مبادراتِ حفظِ وتوثيقِ التراثِ.

وتوضِّحُ تجاربُ عدَّةٌ وردتْ في الاستبيانِ بأنَّ الفعلَ الثقافيَّ، حينَ يرتبطُ بحمايةِ التراثِ المادِّيِّ واللامادِّيِّ، يمكنُ أن يُعزِّزَ الشُّعورَ بالمصيرِ المشتركِ والانتماءِ إلى تاريخٍ وهويَّةٍ مشتركةٍ بتنوُّعِها، ويُقدِّمَ بديلًا عمليًّا عن رواياتِ الكراهيةِ والإقصاءِ. فأشارتْ منظَّمةُ "أركانٍ للتنميةِ" إلى استخدامِ الحكايا الشَّعبيَّةِ، والتراثِ المشتركِ، وفضاءاتِ التَّنزُّهِ التاريخيَّةِ بينَ درعا والسويداءِ كوسيلةٍ لإعادةِ بناءِ الثِّقةِ.

كما نوَّهتْ بعضُ المنظَّماتِ إلى دورِ البحثِ الثقافيِّ والعملِ المعرفيِّ في دعمِ السِّلمِ الأهليِّ، من خلالِ إنتاجِ دراساتٍ وأبحاثٍ حولَ أوضاعِ النِّساءِ والشَّبابِ، وتحليلِ أسبابِ العنفِ والتمييزِ، واقتراحِ مقارباتٍ ثقافيَّةٍ ومجتمعيَّةٍ للحلولِ، كما في عملِ "مركزِ أدادَ للبحوثِ والدِّراساتِ المتعلِّقةِ بقضايا المرأةِ والشَّبابِ". وتظهرُ مبادراتٌ أخرى كيفَ يمكنُ لبرامجِ تمكينِ النِّساءِ، وبرامجِ تعليمِ الفنونِ والتَّعبيرِ الفنِّيِّ تُعزِّزُ من ثقافةِ السَّلامِ، وتدريبِ الأطفالِ على الفنونِ، واستخدامِ الرِّياضةِ والألعابِ الإبداعيَّةِ، أو العملِ على حملاتِ التَّوعيةِ بخطابِ الكراهيةِ وحدودِ حريَّةِ التَّعبيرِ، أن تتحوَّلَ إلى وسائلَ عمليَّةٍ لنشرِ ثقافةِ اللاعنفِ والتَّسامحِ، وتمكينِ الفئاتِ الأكثرِ هشاشةً منَ المشاركةِ الفاعلةِ في الحياةِ العامَّةِ.

ومن خلالِ هذهِ المداخلِ المتنوِّعةِ، يُصبحُ العملُ الثقافيُّ فضاءً خصبًا وآمنًا لتجربةِ أشكالٍ جديدةٍ منَ الحوارِ وبناءِ سرديَّاتٍ مشتركةٍ حولَ المجتمعِ والعلاقاتِ بينَ مكوِّناتِهِ المتنوِّعةِ، بما يُساهمُ على المدى البعيدِ في ترسيخِ أُسسِ السِّلمِ الأهليِّ في سوريا.

وتبرزُ من خلالِ الإجاباتِ مجموعةٌ منَ التَّأثيراتِ الإيجابيَّةِ الَّتي يُحقِّقُها الفعلُ الثقافيُّ في تعزيزِ السِّلمِ الأهليِّ، منها:

- تعزيزُ الوعيِ والتَّثقيفِ العامِّ لمواجهةِ خطابِ الكراهيةِ، وتعزيزِ قيمِ المواطنةِ والسَّلامِ
- تشجيعُ المشاركةِ المجتمعيَّةِ والفعاليَّةِ السِّياسيَّةِ
- دعمُ وتمكينُ الفئاتِ المهمَّشةِ والمتضرِّرةِ لإعادةِ توزيعِ هرميَّةِ المجتمعِ نحوَ تمثيلٍ أُفقيٍّ وأكثرَ عدالةٍ
- المساهمةُ في بناءِ بيئاتٍ سلميَّةٍ قائمةٍ على المشاركةِ والاعترافِ بالآخرِ
- تصحيحُ المفاهيمِ الخاطئةِ وتفكيكُ الصُّورِ النمطيَّةِ
- تحويلُ الممارساتِ الثقافيَّةِ الهادفةِ لبناءِ السِّلمِ الأهليِّ إلى ممارساتٍ مجتمعيَّةٍ مستدامةٍ

ويوضِّحُ الفاعلونَ الثقافيُّونَ أنَّ العملَ الثقافيَّ اليومَ هو استثمارٌ مباشرٌ في مستقبلٍ أكثرَ سلامًا وتقدُّمًا، ولهُ تأثيرٌ ملموسٌ على حياةِ الأفرادِ والمجتمعِ على حدٍّ سواءٍ على المدى الآنيِّ والبعيدِ.

ثالثاً: عِلاقةُ الفنونِ بِملَفِّ العَدالةِ الانتِقاليّةِ وحِفْظِ الذاكرةِ

يُعتبَرُ ملفُّ العدالةِ الانتقاليَّةِ من أكثرِ الملفَّاتِ تعقيدًا في السِّياقِ السُّوريِّ، نظرًا لتداخلِ مستوياتِه القانونيَّةِ والاجتماعيَّةِ والثقافيَّةِ، وما يتطلَّبُهُ من مقارباتٍ متوازيةٍ تشملُ المحاسبةَ، وكشفَ الحقيقةِ، وجبرَ الضَّررِ، والاعترافَ، وحفظَ الذَّاكرةِ. وترتبطُ العدالةُ الانتقاليَّةُ بشكلٍ مباشرٍ بالسِّلمِ الأهليِّ، باعتبارِها أحدَ المساراتِ الَّتي يمكنُ عبرَها تخفيفُ التوتُّرِ وإعادةُ بناءِ الثِّقةِ بينَ فئاتِ المجتمعِ المتنازعةِ بعدَ سنواتٍ طويلةٍ منَ العنفِ والانقسامِ.

وتُشيرُ نتائجُ الاستبيانِ إلى أنَّ عددًا منَ المبادراتِ الثقافيَّةِ والفنِّيَّةِ تعتمدُ على الفنونِ كمدخلٍ فعَّالٍ للتطرُّقِ لهذا الملفِّ الشائكِ، من خلالِ معالجةِ قضايا مثلَ السِّلمِ الأهليِّ، والعدالةِ الانتقاليَّةِ، والمغيَّبينَ والمختفينَ قسرًا. وكمثالٍ على ذلكَ "نادي سينما جرمانا" الَّذي يُنظِّمُ عروضَ أفلامٍ تتناولُ هذهِ القضايا الحسَّاسةِ، تتبعُها جلساتُ حوارٍ ونقاشٍ تُتيحُ الفرصةَ للتفكيرِ الجماعيِّ والتأمُّلِ في التَّجاربِ المختلفةِ.

″في ظلِّ الاستقطابِ السِّياسيِّ والطائفيِّ الَّذي يُعانيهِ المجتمعُ السُّوريُّ حاليًّا، يبقى جمهورُ نادي السِّينما متنوِّعًا طائفيًّا وإثنيًّا وبتوجُّهاتٍ سياسيَّةٍ مختلفةٍ، لكنَّهم يُحافظونَ على حضورِهم وتلاقيهم واستمرارِ تواصلِهم ونقاشِهم.″ — ناصر منذر، نادي سينما جرمانا

تُسهمُ عروضُ الأفلامِ في خلقِ فضاءِ لقاءٍ يُسهمُ في إعادةِ تشكيلِ الرَّوابطِ المجتمعيَّةِ، وخلقِ حوارٍ بينَ فئاتٍ قد لا تلتقي في الظُّروفِ الطبيعيَّةِ. كما تُسهمُ الأفلامُ، خصوصًا الوثائقيَّةَ الَّتي أُنتجتْ خلالَ العقدِ الماضي، في تعريفِ الجمهورِ بتفاصيلِ الحراكِ والحربِ السُّوريَّةِ وتجاربِ السُّوريِّينَ في مختلفِ المناطقِ داخلَ سوريا وفي بلدانِ اللُّجوءِ، ممَّا يُساعدُ على بناءِ ذاكرةٍ جمعيَّةٍ أكثرَ عدلًا. كما تُتيحُ النِّقاشاتُ اللاحقةُ للعروضِ مساحةً لطرحِ الآراءِ المتباينةِ، والتفكيرِ في كيفيَّةِ تجاوزِ الماضي وبناءِ مستقبلٍ مشتركٍ.

وتعملُ مجموعاتٌ مثلَ "إيبلا – دار الفنونِ والثقافةِ" على مشاريعَ تُوثِّقُ وتحفظُ سرديَّاتٍ مختلفةً متعلِّقةً بفترةِ الثَّورةِ والحربِ في سوريا على وجهِ الخصوصِ، من خلالِ مبادراتٍ فنِّيَّةٍ منها ورشاتُ الكتابةِ ورسمُ الغرافيتي وغيرها، إلى جانبِ مبادراتٍ مثلَ "حدائقِ التِّينِ" الَّتي تعملُ على زراعةِ أشجارٍ تحملُ أسماءَ الشُّهداءِ والمغيَّبينَ في مناطقَ مختلفٍ في سوريا مثلَ ريفِ دمشقَ وريفِ إدلبَ. كذلكَ "مشروعُ مرايةَ المسرحيُّ" والَّذي وثَّقَ حكاياتٍ شفويَّةٍ سوريَّةٍ من مناطقَ مختلفةٍ وأرشفَ مجموعةَ سرديَّاتٍ ساعدتِ النَّاجياتِ منَ الحربِ على استعادةِ الوكالةِ على سرديَّاتِهنَّ والمشاركةِ في الشَّأنِ العامِّ.

كما تظهرُ مبادراتٌ أخرى مثلَ الملتقى النِّسائيِّ السُّوريِّ الَّذي تُنظِّمُهُ "شبكةُ نولٍ للسِّلمِ الأهليِّ" حولَ أدوارِ النِّساءِ في المرحلةِ الانتقاليَّةِ، والعدالةِ الانتقاليَّةِ، والمشاركةِ السِّياسيَّةِ، تظهرُ إمكانيَّةَ توظيفِ العملِ الثقافيِّ في إنتاجِ المعرفةِ، بالإضافةِ إلى بناءِ الحواراتِ الضَّروريَّةِ لمرحلةِ ما بعدَ النِّزاعِ.

تقييمُ الأثرِ في تدخُّلاتِ السِّلمِ الأهليِّ

تعتمدُ فعاليَّةُ نتائجِ التَّدخُّلاتِ المرتبطةِ بالسِّلمِ الأهليِّ في الدَّرجةِ الأولى على الاستمراريَّةِ الزَّمنيَّةِ، والمشاركةِ الفاعلةِ من مختلفِ فئاتِ المجتمعِ، العمريَّةِ والجندريَّةِ وغيرها، لبناءِ علاقاتٍ طويلةِ الأمدِ قادرةٍ على رفعِ مستوياتِ الثِّقةِ بالعلاقاتِ الاجتماعيَّةِ بينَ الأفرادِ. إلَّا أنَّ محدوديَّةَ استدامةِ التَّمويلِ، وغيابَ الاستقرارِ الأمنيِّ عن الكثيرِ منَ المناطقِ السُّوريَّةِ، والتَّحوُّلاتِ السِّياسيَّةِ والاجتماعيَّةِ والأمنيَّةِ المتسارعةِ الَّتي يشهدُها السِّياقُ السُّوريُّ اليومَ، وغيرها منَ العواملِ، قد تحدُّ منَ التَّأثيرِ التراكميِّ لهذهِ التَّدخُّلاتِ أو تُبطِّئُهُ على المدى الطويلِ، وتتطلَّبُ منها مرونةً كبيرةً بالتعاطي معَ المعطياتِ والاستجابةِ لها على مختلفِ المستوياتِ ما قد يصعبُ توفيرُهُ في كثيرٍ منَ الأحيانِ وبسهولةٍ.

وعلى الرغمِ من تأكيدِ عددٍ منَ المبادراتِ على وجودِ أثرٍ إيجابيٍّ لتدخُّلاتِها على مستوياتٍ متعدِّدةٍ، فإنَّ هذا الأثرَ غالبًا يكونُ بشكلٍ غيرِ مباشرٍ أو تدريجيٍّ. على سبيلِ المثالِ لا الحصرِ، في سياقِ بناءِ العلاقاتِ وتخفيفِ العزلةِ ما بينَ أفرادِ المجتمعِ من خلفيَّاتٍ متنوِّعةٍ كما في مبادرتَي "بساطِ الجنوبِ" و"أمِّ الغيثِ" لمنظَّمةِ "أركانِ للتنميةِ"، ومجتمعِ "كورالِ غاردينيا"، ومخيَّماتِ "مؤسَّسةِ جوى"، وفي سياقِ كسرِ الصُّورِ النمطيَّةِ وفتحِ نقاشاتٍ عامَّةٍ حولَ قضايا حسَّاسةٍ، أشارتْ مبادراتٌ مثلَ "دارِ ورشةٍ للصِّناعةِ الثقافيَّةِ" ومجموعةِ "كراسي كولِّيكتف" و"مجتمعِ حمصَ السِّينمائيِّ" و"نادي سينما جرمانا" إلى أثرٍ إيجابيٍّ لعروضِ الأفلامِ والنِّقاشاتِ المرافقةِ لها.

وفي المقابلِ أكَّدتْ مبادراتٌ أخرى على صعوبةِ تحديدِ الأثرِ على المدى القصيرِ، وضرورةِ الاستمراريَّةِ الزَّمنيَّةِ ودراسةِ الأثرِ بعدَ مرورِ زمنٍ، كما وردَ مثالًا في إجاباتِ "جمعيَّةِ عاصمةِ السَّلامِ" و"جمعيَّةِ النَّهضةِ الفنِّيَّةِ"، و"شبكةِ نولٍ للسِّلمِ الأهليِّ". وذهبتْ مبادراتٌ أخرى أبعدَ من ذلكَ بالإشارةِ على عدمِ القدرةِ على تحديدِ الأثرِ المباشرِ بما يتعلَّقُ بالسِّلمِ الأهليِّ، معَ التَّأكيدِ في المقابلِ على إمكانيَّةِ قياسِ مؤشِّراتٍ أخرى أكثرَ وضوحًا كالمعرفةِ والتعلُّمِ كما في مبادرةِ "التِّينِ الهبولِ" لمجموعةِ "بلدنا ثروتنا".

وهنا يبقى السُّؤالُ: كيفَ يمكنُنا فعلًا أن نقيسَ هذا النَّوعَ منَ الأثرِ؟ كيفَ يمكنُ أن نُحدِّدَ ما نجحَ بهدفِ تكريسِهِ، وما لم ينجحْ للتعلُّمِ منهُ والعملِ على تطويرِهِ؟ لاحظنا بأنَّ معظمَ المشاركين/ات في الاستبيانِ يميلونَ للإجابةِ عن سؤالِ: "هل نفَّذتم أيَّ مشاريعَ تخصُّ التَّماسكَ المجتمعيَّ وما هو أثرُها على أرضِ الواقعِ؟" بأنَّهم فعلًا عملوا على هذهِ المشاريعِ مهما كانَ شكلُها وطريقةُ تدخُّلِها، وبأنَّها تركتْ أثرًا مهما كانَ صغيرًا. في نهايةِ المطافِ يمكنُنا القولُ بأنَّ معظمَ المبادراتِ قيدَ الدِّراسةِ كانَ لها أثرٌ مهمٌّ كانَ متفاوتًا، خاصَّةً في المناطقِ ذاتِ الحساسيَّاتِ الاجتماعيَّةِ الأعلى، ونرى بأنَّهُ يمكنُ اعتبارُ هذهِ الورقةِ مرجعًا أوَّليًّا يمكنُ العودةُ إليهِ لاحقًا لدراسةِ الأثرِ وتتبعِ تطوُّرِ المشاريعِ والمبادراتِ الَّتي وردتْ في الاستبيانِ، من خلالِ مؤشِّراتٍ كمِّيَّةٍ ونوعيَّةٍ واضحةٍ، مثلَ مؤشِّراتِ حساسيَّةِ النِّزاعِ، وقياسِ التَّماسكِ المجتمعيِّ، وغيرِها.

التحدِّياتُ الَّتي تواجهُ الفاعلينَ الثقافيِّينَ في العملِ على السِّلمِ الأهليِّ

بالرغمِ منَ الفرصةِ التاريخيَّةِ الَّتي تمرُّ فيها سوريا اليومَ والَّتي تسمحُ بمساحةِ تحرُّكٍ وتأثيرٍ لم تكنْ متاحةً لعقودٍ، تُشيرُ نتائجُ الاستبيانِ إلى مجموعةٍ واسعةٍ منَ التحدِّياتِ البنيويَّةِ والعمليَّةِ الَّتي تُعيقُ قدرةَ الفاعلينَ الثقافيِّينَ على تنفيذِ مبادراتٍ فعَّالةٍ ومستدامةٍ في مجالاتِ الثقافةِ والفنونِ وحفظِ التراثِ وربطِ كلِّ ذلكَ معَ مساراتِ السِّلمِ الأهليِّ داخلَ سوريا.

يُشكِّلُ الوضعُ الأمنيُّ المتردِّي أحدَ أبرزِ هذهِ التحدِّياتِ، إذ يحدُّ بشكلٍ مباشرٍ من قدرةِ المبادراتِ الثقافيَّةِ على الحركةِ والتنفيذِ، خاصَّةً في المناطقِ الَّتي تشهدُ توتُّراتٍ أمنيَّةً مستمرَّةً أو ضعفًا في الاستقرارِ، وينعكسُ هذا الواقعُ حتَّى على جمهورِ الأنشطةِ الثقافيَّةِ، من حيثُ القدرةِ على التنقُّلِ أو المشاركةِ بشكلٍ دوريٍّ وآمنٍ. كما يُعدُّ الدمارُ الواسعُ وضعفُ البنى التحتيَّةِ تحدِّيًا مركزيًّا، إذ تُعاني مؤسَّساتٌ كثيرةٌ من غيابِ مقرَّاتٍ ثابتةٍ أو آمنةٍ للعملِ، وتضطرُّ إلى البحثِ المستمرِّ عن أماكنَ بديلةٍ تستضيفُ الأنشطةَ بشكلٍ مجانيٍّ أو بمقابلٍ رمزيٍّ. وفي بعضِ المناطقِ تُضافُ ندرةُ المساحاتِ الآمنةِ إلى قائمةِ التحدِّياتِ، وخاصَّةً بالنسبةِ للمبادراتِ الَّتي تعملُ معَ النِّساءِ، وتُشيرُ مؤسَّسةُ "كفوة" إلى أنَّ غيابَ مساحاتٍ مخصَّصةٍ وآمنةٍ للنِّساءِ في الأحياءِ والريفِ يُعطِّلُ إمكانيَّةَ تنظيمِ لقاءاتٍ وحواراتٍ دوريَّةٍ، ويجعلُ من جلساتِها المتنقِّلةِ بديلًا ضروريًّا لكنَّهُ محدودٌ.

بالإضافةِ إلى التحدِّياتِ المرتبطةِ بمحدوديَّةِ فرصِ التَّمويلِ المخصَّصةِ للعملِ الثقافيِّ والسِّلمِ الأهليِّ بالمقارنةِ معَ المشاريعِ الإغاثيَّةِ، فتعتمدُ العديدُ منَ المبادراتِ على مواردَ ذاتيَّةٍ أو تطوُّعيَّةٍ، في ظلِّ غيابِ دعمٍ ماليٍّ يُتيحُ تطويرَ البرامجِ أو استدامتَها. وأشارتْ عدَّةُ مجموعاتٍ إلى أنَّ ضعفَ التَّمويلِ يُجبرُ فرقَ العملِ على العملِ دونَ مقابلٍ، ممَّا يُقلِّلُ من القدرةِ على جذبِ متطوِّعينَ واستمرارِ بعضِ الأنشطةِ. أو تُعاني مثلَ "نادي سينما جرمانا"، من عدمِ القدرةِ على تغطيةِ تكاليفِ تنظيمِ الفعاليَّاتِ، ممَّا يحدُّ من التوسُّعِ أو التطويرِ. كما أنَّ الوضعَ الاقتصاديَّ المتردِّي لأغلبِ السُّكَّانِ يُسهمُ في تحييدِ الاهتمامِ بالثقافةِ والفنونِ لأسفلِ سلَّمِ الأولويَّاتِ.

يُضافُ إلى ذلكَ التحدِّياتُ المرتبطةُ بعدمِ وجودِ سياسةٍ ثقافيَّةٍ واضحةٍ تضمنُ للأفرادِ والمبادراتِ الاستقلاليَّةَ وحريَّةَ النَّشاطِ الثقافيِّ، وتذكرُ العديدُ منَ الإجاباتِ موضوعَ البيروقراطيَّةِ والمدَّةَ الَّتي تستغرقُها طلباتُ الموافقةِ لإقامةِ الفعاليَّاتِ في الفضاءِ العامِّ، وتختلفُ مساحةُ الحريَّةِ والحركةِ باختلافِ المدنِ والمحافظاتِ حيثُ تتمتَّعُ دمشقُ بمساحةِ حريَّةٍ وحركةٍ أعلى من غيرِها منَ المناطقِ، ممَّا يُسهمُ في إعادةِ تكريسِ المركزيَّةِ الإداريَّةِ والثقافيَّةِ.

يُواجهُ الفاعلونَ الثقافيُّونَ منظومةً معقَّدةً منَ التحدِّياتِ: أمنيَّةً واقتصاديَّةً وإداريَّةً واجتماعيَّةً وسياسيَّةً، تنعكسُ بشكلٍ مباشرٍ أو غيرِ مباشرٍ على قدرتِهم على العملِ في مجالِ السِّلمِ الأهليِّ. ورغمَ ذلكَ، تُظهرُ الاستجاباتُ القدرةَ على إيجادِ حلولٍ مبتكرةٍ ومرنةٍ، عبرَ الاعتمادِ على التطوُّعِ، والشراكاتِ المحليَّةِ، واستثمارِ المواردِ المتاحةِ بأقصى حدٍّ ممكنٍ، بما يؤكِّدُ أهميَّةَ دعمِ هذا القطاعِ وتمكينِه ضمنَ أيِّ رؤيةٍ مستقبليَّةٍ للسِّلمِ الأهليِّ في سوريا.

تاريخُ التأسيسِ وعلاقتُهُ بالسِّياقِ السّياسيِّ والاجتِماعيِّ

يقدِّمُ ربطُ تاريخِ تأسيسِ المبادراتِ الثقافيَّةِ بموقعِها الجغرافيِّ ونوعِ تدخُّلِها مدخلًا أساسيًّا لفهمِ أولويّاتِ العملِ الثقافيِّ في كلِّ مرحلةٍ، وانعكاسِ التحوّلاتِ السياسيَّةِ والاقتصاديَّةِ والاجتماعيَّةِ على طبيعةِ التدخّلاتِ الثقافيَّةِ. فلا يمكنُ قراءةُ أنماطِ التدخُّلِ الثقافيِّ بمعزلٍ عن السياقِ التاريخيِّ الَّذي تأسَّستْ فيهِ، بل تظهرُ هذهِ المبادراتُ بوصفِها انعكاسًا مباشرًا لحاجاتٍ ملحَّةٍ فرضتْها كلُّ مرحلةٍ.

يمكنُ ملاحظةُ هذا الارتباطِ من خلالِ محورينِ أساسيَّينِ: السياقِ الزمنيِّ للتأسيسِ، والموقعِ الجغرافيِّ للمبادرةِ، فيتغيَّرُ نوعُ التدخُّلِ الثقافيِّ بتغيُّرِ التحدّياتِ السائدةِ. ورأَينا تقسيمَها على ثلاثِ مراحلَ بحسبِ الأنماطِ المتكرِّرةِ وعلاقتِها بالوضعِ السياسيِّ:

- **ما قبلَ عامِ 2011 - حمايةُ الهويّاتِ الثقافيّةِ والتنوُّعِ اللغويِّ في ظلِّ الإقصاءِ السياسيِّ**

تشيرُ البياناتُ إلى أنَّ المبادراتِ الَّتي تأسَّستْ قبلَ عامِ 2011 ركَّزتْ بدرجةٍ كبيرةٍ على حمايةِ الهويَّةِ الثقافيَّةِ وصونِ التراثِ، خاصَّةً لدى الأقليّاتِ وفي المناطقِ الَّتي عانتْ تهميشًا ممنهجًا طويلَ الأمدِ. فمنطقةُ الجزيرةِ الَّتي تمثِّلُ أحدَ أهمِّ المواردِ الاقتصاديَّةِ في سوريا من حيثُ النفطِ والقمحِ، بالإضافةِ لغناها الحضاريِّ والتاريخيِّ والتنوُّعِ الثقافيِّ، كانتْ تعاني من الفقرِ والإهمالِ السياسيِّ والاقتصاديِّ والزراعيِّ والضعفِ الشديدِ في البنيةِ التحتيَّةِ نتيجةَ سياساتِ نظامِ البعثِ الَّتي ركَّزتْ على استنزافِ مواردِها دونَ تنميةِ مجتمعاتِها المحليَّةِ.

ضمنَ هذا السياقِ، تأسَّستْ "فرقةُ بارمايا للفلكلورِ السريانيِّ" عامَ 1994 بهدفِ حمايةِ الفلكلورِ واللغةِ السريانيَّةِ، إلى جانبِ إبرازِ التنوُّعِ الثقافيِّ في المنطقةِ عبرَ توثيقِ وتقديمِ الفنونِ الكرديَّةِ والعربيَّةِ والسريانيَّةِ والأرمنيَّةِ والآشوريَّةِ. كما تأسَّستْ "الجمعيَّةُ الثقافيَّةُ السريانيَّةُ في سوريا" سنةَ 2008 في مدينةِ الحسكةِ ضمنَ السياقِ ذاتهِ، كاستجابةٍ مباشرةٍ لتغييبِ هذهِ الهويّاتِ عن السرديَّةِ الثقافيَّةِ الرسميَّةِ بهدفِ حمايتِها.

- **من 2011 ولنهايةِ 2024 - تبعاتُ الثورةِ والحربِ والحصارِ على المجتمعِ اقتصاديًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا**

ومعَ اندلاعِ الثورةِ السوريَّةِ عامَ 2011 وما تبعَها من عنفٍ ممنهجٍ في المناطقِ الثائرةِ وقطيعةٍ جغرافيَّةٍ وانهيارٍ اقتصاديٍّ تدريجيٍّ في عمومِ البلادِ، بدأتْ تظهرُ مبادراتٌ ثقافيَّةٌ/اقتصاديَّةٌ تستجيبُ لحاجاتِ المعيشةِ، لا سيَّما في المناطقِ الريفيَّةِ. ففي اللاذقيَّةِ، تأسَّستْ "جمعيَّةُ سوقِ الضيعةِ" بهدفِ إيجادِ حلولٍ خلاقةٍ تدعمُ النساءَ الريفيّاتِ وصغارَ المنتجينَ، عبرَ خلقِ سوقٍ بديلٍ يربطُ المنتجَ بالمستهلكِ دونَ وسيطٍ، ويعزِّزُ الاستدامةَ الاقتصاديَّةَ البعيدةَ عن المركزيَّةِ. ومعَ ازديادِ العنفِ وتحويلِ الحراكِ إلى صراعٍ مسلَّحٍ وما تبعَه من فرضِ سياساتِ الحصارِ والقصفِ المكثَّفِ، اتَّجهتْ بعضُ المبادراتِ الثقافيَّةِ نحوَ استجاباتٍ طارئةٍ ذاتِ الطابعِ المعيشيِّ والثقافيِّ. فتأسَّستْ مبادراتٌ مثلُ مشروعِ "خيوطِ الأملِ - أغباني" لدعمِ نساءٍ من دوما عبرَ إحياءِ حرفةٍ تراثيَّةٍ مهدَّدةٍ، في سياقٍ كانَ فيهِ الحفاظُ على التراثِ متداخلًا مع ضرورةِ تأمينِ دخلٍ بديلٍ في ظلِّ فقدانِ المعيلِ وغيابِ المواردِ.

ويظهرُ هذا النمطُ بشكلٍ متكرِّرٍ خلالَ سنواتِ الحربِ، فارتبطتِ المبادراتُ الثقافيَّةُ ارتباطًا وثيقًا بانهيارِ الخدماتِ، وتفاقمِ الفقرِ، واتِّساعِ ظاهرةِ التغييبِ القسريِّ للرجالِ بنسبةٍ أكبرَ، ما دفعَ النساءَ على وجهِ الخصوصِ إلى اختراقِ سوقِ العملِ من خلالِ المشاريعِ الثقافيَّةِ والحرفيَّةِ، وأعطى الفعلَ الثقافيَّ بعدًا جديدًا يرتبطُ بالبقاءِ والتمكينِ في سياقٍ شديدِ التعقيدِ. نذكرُ من ضمنِ المبادراتِ: مشغلُ نايا في السويداءِ 2014، مجموعةُ سما للأعمالِ اليدويَّةِ في ريفِ دمشقَ 2014، رابطةُ التنميةِ الريفيَّةِ في إدلبَ 2015، مركزُ دعمِ وتمكينِ المرأةِ في إدلبَ 2018، مبادرةُ ولفي لدعمِ الحرفِ في حماهَ 2020. ويظهرُ المحورُ الثاني المتكرِّرُ في المناطقِ الَّتي تتميَّزُ بتنوُّعٍ ثقافيٍّ وتعدُّدٍ طائفيٍّ وإثنيٍّ مثلَ مدينةِ حمصَ، أو في الأماكنِ المتاخمةِ لجبهاتِ النزاعِ مثلَ حلبَ ودرعا والسويداءِ وغيرِها، ويتعلَّقُ بالحوارِ والسِّلمِ الأهليِّ، فتركِّزُ المبادراتُ على مجابهةِ خطابِ الكراهيَّةِ والتقسيمِ ونبذِ الآخرِ المختلفِ، من خلالِ مشاريعَ تدعمُ التقاربَ المجتمعيَّ والتجربةَ المشتركةَ. بالإضافةِ إلى تقديمِ خدماتٍ إغاثيَّةٍ في أوقاتِ الكوارثِ، كدلالةٍ على ضرورةِ مرونةِ الاستجابةِ بسببِ الظروفِ شديدةِ التعقيدِ والتغيُّرِ الملازمةِ لوضعِ الحربِ.

ونذكرُ منها مثلًا مؤسَّسةُ مَوج التنمويَّةِ في ريفِ دمشقَ 2014، منظَّمةُ دار للسلامِ والازدهارِ في حلبَ 2015، شبكةُ نول للسِّلمِ الأهليِّ في درعا 2016، منظَّمةُ مساراتٍ إبداليَّةٍ في حلبَ 2017، مركزُ أداد للبحوثِ والدراساتِ المتعلِّقةِ بقضايا المرأةِ والشبابِ في السويداءِ 2018، فريقُ غصن التنمويُّ في حلبَ 2018، منظَّمةُ بالون في الرقةِ 2019.

وتظهرُ ثالثًا بشكلٍ متكرِّرٍ المبادراتُ المرتبطةُ بالفنونِ مباشرةً، خصوصًا ذاتَ الطبيعةِ الجماعيَّةِ مثلَ الكورالِ والمسرحِ، أو الَّتي تعتمدُ على التفاعلِ مع الجمهورِ مثلَ عروضِ السينما والمعارضِ الفنيَّةِ وجلساتِ النقاشِ المرتبطةِ بها. وتؤكِّدُ طبيعةُ هذهِ المبادراتِ الَّتي تعملُ على حفظِ التراثِ اللاماديِّ من خلالِ الموسيقى، وامتلاكِ السرديَّةِ، والمساهمةِ بتخفيفِ آثارِ الحربِ والتعافي من خلالِ المسرحِ، وفتحِ مجالٍ عامٍّ للتلاقي والنقاشِ من خلالِ السينما، على جوهريَّةِ التلاقي ضمنَ هذهِ المساحاتِ الفنيَّةِ بظلِّ الدمارِ والاستنزافِ الَّذي طالَ كافَّةَ نواحي الحياةِ. ونذكرُ منها مثلًا جمعيَّةُ أصدقاءِ الموسيقا - كورالُ أرجوان في طرطوسَ 2015، كورالُ غاردينيا النسائيُّ في دمشقَ 2016، مشروعُ مراية المسرحيُّ في دمشقَ والنشاطُ في دمشقَ وطرطوسَ 2017، نادي سينما جرمانا في ريفِ دمشقَ 2019.

* ما بعدَ سقوطِ نظامِ الأسدِ - السِّلمُ الأهليُّ واستعادةُ السرديّاتِ

تظهرُ البياناتُ ارتفاعًا بتسجيلِ المبادراتِ والكياناتِ الثقافيَّةِ بشكلٍ تصاعديٍّ عبرَ السنواتِ وصولًا إلى العامِ ما بعدَ سقوطِ نظامِ الأسدِ، والَّذي شهدَ ظهورَ كياناتٍ تتمحورُ بأغلبِها حولَ قضايا السِّلمِ الأهليِّ والفعاليَّةِ السياسيَّةِ واستعادةِ السرديَّةِ لصالحِ الفئاتِ الأكثرِ هشاشةً، ممَّا يشيرُ إلى تحوُّلِ الفعلِ الثقافيِّ أكثرَ فأكثرَ إلى الانخراطِ المباشرِ في قضايا المرحلةِ الانتقاليَّةِ وفضائِها الحيويِّ العامِّ. نذكرُ هنا المبادراتِ الَّتي سُجِّلتْ سنةَ 2025 كما وردتْ بالاستبيانِ: شبكةُ نول للسِّلمِ الأهليِّ في دمشقَ ومجالُ النشاطِ في كلِّ المحافظاتِ، مجتمعُ حمصَ السينمائيُّ في حمصَ، إيبلا - دارُ الفنونِ والثقافةِ في دمشقَ، مؤسَّسةُ كفوة في ريفِ حماهَ، بيتُ سوريٍّ للفنونِ في ريفِ حماهَ، فريقُ عِنبنا في ريفِ دمشقَ.

6 التنظيمُ والحَوْكَمةُ

مـن خـلالِ الاسـتبيانِ، تبـيَّنَ بـأنَّ نحـوَ نصـفِ المجموعـاتِ قيـدَ الدراسـةِ تعمـلُ بشـكلٍ مرخَّـصٍ، مـن خـلالِ تسـجيلٍ قانـونيٍّ بشـكلٍ أسـاسيٍّ مـع وزارةِ الشـؤونِ الاجتماعيَّـةِ والعمـلِ أو مـع كيانـاتٍ أخـرى مثـلَ نقابـةِ الفنَّانـينَ أو غيرِهـا مـن الـوزاراتِ، أو أنَّهـا قيـدَ الترخيـصِ. المجموعـاتُ العاملـةُ في مناطـقِ شـمالِ شرقِ سـوريا (تحـتَ سـيطرةِ الإدارةِ الذاتيَّـةِ الكرديَّـةِ) تعمـلُ بشـكلٍ مرخَّـصٍ مـن هـذهِ الإدارةِ وبعضُهـا عمـلَ أيضًـا عـلى الترخيـصِ في دمشـقَ مـع الحكومـةِ السـوريَّةِ الانتقاليَّـةِ، وكذلـكَ الأمـرُ لمجموعـاتٍ كانـتْ تعمـلُ في مناطـقِ شـمالِ غـربِ سـوريا (الَّتـي كانـتْ تسـيطرُ عليهـا الفصائـلُ المعارضـةُ قبـلَ سـقوطِ نظـامِ الأسدِ) وهي اليومَ تلجأُ للترخيصِ من جديدٍ مع الحكومةِ السوريَّةِ الانتقاليَّةِ.

حتَّـى تاريـخِ هـذا التقريـرِ، هنـاكَ قـدرةٌ للتحـرُّكِ والعمـلِ نوعًـا مـا للمجموعـاتِ غـيرِ المرخَّصـةِ، لكـنْ يمكـنُ أن تكـونَ عليهـا العديـدُ مـن القيـودِ. وفي الوقـتِ ذاتـهِ، لا تمتلـكُ بعـضُ المجموعـاتِ خاصَّـةً الصغـيرةِ القـدرةَ الماديَّـةَ أو المعرفيَّـةَ أو التقنيَّـةَ بخصوصِ التسجيلِ ويمثِّلُ ذلكَ أحدَ العوائقِ في وجهِ الإجراءاتِ ذاتِ الصلةِ.

حالات الترخيص للمجموعات قيد الاستبيان:

- مرخَّصةٌ (17)
- قيدَ الترخيصِ (7)
- تعملُ بدونِ ترخيصٍ (21)
- مرخَّصةٌ خارجَ سوريا وتعملُ على الترخيصِ داخلَ سوريا (1)
- مسـجَّلةٌ في مناطـقِ شـمالِ شرقِ أو شـمالِ غـربِ سـوريا ومرخَّصـةٌ أو تعمـلُ عـلى الترخيـصِ أو غـيرُ مرخَّصـةٍ في مناطـقِ الحكومةِ السوريَّةِ الانتقاليَّةِ

أمَّـا بالنسـبةِ لوجـودِ هيـكلٍ تنظيمـيٍّ داخـلَ المجموعـاتِ، فمعظمُهـا (43 مجموعـةً) يعتمـدُ وجـودَ هيـكلٍ تنظيمـيٍّ، يتنـوَّعُ شـكلُه مـن بسـيطٍ جـدًّا وحتَّـى معقَّـدٍ مـع وجـودِ مسـتوياتٍ عـدَّةٍ مـن الإدارةِ. وهنـاكَ 9 مجموعـاتٍ تعمـلُ بـدونِ أيِّ هيكليَّـةٍ تنظيميَّةٍ واضحةٍ. كما أنَّ العديدَ من المجموعاتِ يعتمدُ على متطوِّعينَ بشكلٍ كلِّيٍّ أو جزئيٍّ.

وقـد عـبَّرَ البعـضُ عـن معرفتِـه بوجـودِ حاجـةٍ لتطويـرِ الهيـاكلِ التنظيميَّـةِ وخطـطِ العمـلِ طويلـةِ الأمـدِ، والميزانيَّـاتِ والاسـتراتيجيَّاتِ والعديـدِ مـن الإجـراءاتِ الأخـرى ذاتِ الصلـةِ بالحوكمـةِ والإدارةِ، وهـو أمـرٌ يغيـبُ اليـومَ عـن الكثـيرِ مـن المجموعـاتِ والمبـادراتِ في سـوريا، خاصَّـةً الناشـئةِ وصغـيرةِ الحجـمِ، وعـلى وجـهِ الخصـوصِ الَّتـي كانـتْ تعمـلُ في مناطـقِ سـيطرةِ نظـامِ الأسـدِ لعـدمِ قدرتِهـا في كثـيرٍ مـن الأحيـانِ عـلى العمـلِ بحريَّـةٍ وبشـكلٍ علنـيٍّ، فـكانَ اللجـوءُ إلى العمـلِ غـيرِ المنظَّمِ أو التطوُّعيِّ أسهلَ وأكثرَ أمانًا.

عمومًـا، تتعـاونُ المجموعـاتُ قيـدَ الدراسـةِ مـع العديـدِ مـن أصحـابِ المصلحـةِ الموجوديـنَ في مناطـقِ عملِهـا، مثـلَ: المجتمـعِ الأهـليِّ، والمنظَّـماتِ والمبـادراتِ الأخـرى داخـلَ سـوريا، والنقابـاتِ، والجهـاتِ الحكوميَّـةِ، والقـوى الأمنيَّـةِ والعسـكريَّةِ المسـيطرةِ (حسبَ الحاجةِ)، والمنظَّماتِ الإقليميَّةِ والدوليَّةِ، والإعلاميِّينَ والمؤثِّرينَ، والأشخاصِ المفتاحيِّينَ في المجتمعِ.

ويهـدفُ هـذا التعـاونُ لتسـهيلِ تنفيـذِ الأنشـطةِ، أو الحصـولِ عـلى دعـمٍ تقنـيٍّ أو مـاليٍّ أو استشـاريٍّ أو قانـونيٍّ، أو تشـاركِ المـواردِ على اختلافِها، أو تبادلِ المعلوماتِ، أو تقديمِ الخدماتِ، أو الاستفادةِ من التجاربِ، أو الترويجِ والانتشارِ.

7 التَّحدِّياتُ

يواجـهُ العاملـونَ في هـذهِ المؤسَّسـاتِ والمبـادراتِ الكثـيرَ مـن التحدِّيـاتِ المتعلِّقـةِ بطبيعـةِ عملِهـم وطبيعـةِ المناطـقِ الَّتـي ينشـطونَ ضمنَهـا ومـا تعانيـه أساسًـا مـن صعوبـاتٍ وتهميـشٍ علـى مسـتوياتٍ عـدَّةٍ، إلى جانـبِ صعوبـاتِ العمـلِ الثقـافيِّ والمـدنيِّ في سوريا عمومًا خاصَّةً خلالَ سنواتِ الحربِ وصولًا إلى اللحظةِ الراهنةِ.

تنقسـمُ التحدِّيـاتُ بشـكلٍ أسـاسيٍّ إلى تحدِّيـاتٍ خاصَّـةٍ بالمنظَّـماتِ وعملِهـا، وتحدِّيـاتٍ مرتبطـةٍ بالأوضـاعِ عمومًـا في سـوريا والمنطقـةِ. ونبـيِّنُ هـذهِ التحدِّيـاتِ في الفقـراتِ التاليـةِ، إلى جانـبِ بعـضِ الطـرقِ والاسـتراتيجيَّاتِ الَّتـي تتبعُهـا المنظَّـماتُ والمبادراتُ للتعاملِ معها ومواجهتِها.

التحدِّياتُ الخاصَّةُ بالمنظَّماتِ وطبيعةِ عملِها ونشاطِها

- ضعـفُ التمويـلِ الثقـافيِّ مقارنـةً ببرامـجِ الإغاثـةِ، وتمويـلُ البرامـجِ الثقافيَّـةِ بشـكلٍ قصـيرِ الأمـدِ وغـيرِ مسـتدامٍ في معظـمِ الأحيـانِ وبشـكلٍ لا يغطِّـي كلَّ الاحتياجـاتِ وخاصَّـةً التشـغيليَّةَ، وصعوبـةُ الاسـتمراريَّةِ. ويتـمُّ التعامـلُ مـع هـذا التحـدِّي بطرقٍ مختلفةٍ منها:
  - البحـثُ عـن فـرصِ تمويـلٍ ذاتيٍّ بأشـكالٍ مختلفـةٍ (مثـلَ تذاكـرِ دخـولٍ رمزيَّـةٍ لبعـضِ الأنشـطةِ)، ومنـحٍ ومصـادرِ تمويـلٍ متعدِّدةٍ، والتوجُّهُ نحو ترخيصِ المبادراتِ لسهولةِ الحصولِ على المنحِ.
  - تقديـمُ برامـجَ ذاتِ أثـرٍ كبـيرٍ بتكاليـفَ مناسـبةٍ أو بـدونِ تكاليـفَ تقريبًـا، واسـتخدامُ المـواردِ الثقافيَّـةِ والبشريَّـةِ المتاحـةِ بكفاءةٍ عاليةٍ.
  - تدريـبُ وتطويـرُ فريـقِ العمـلِ لزيـادةِ كفاءتِـه، وتقليـلُ عـددِ أعضـاءِ الفريـقِ وتوزيـعُ المهـامِّ عـلى عـددٍ محـدَّدٍ مـن الأشـخاصِ، والاعتـمادُ عنـدَ الإمـكانِ عـلى العمـلِ التطوُّعـيِّ: تقـولُ رُبـا الفريحـاتُ مـن "الجمعيَّـةِ الثقافيَّـةِ السريانيَّـةِ في سـوريا": "نـرى أنَّ الثقافـةَ لا تحتـاجُ دائمًـا إلى ميزانيَّـاتٍ ضخمـةٍ بقـدرِ مـا تحتـاجُ إلى شـغفٍ، تعـاونٍ، وإصرارٍ عـلى الاستمرارِ"
  - الاعتمادُ على بعضِ التبرُّعاتِ من أعضاءِ الجمعيَّةِ والأصدقاءِ
  - التوجُّـهُ نحـو الـشراكاتِ وتنفيـذُ مبـادراتٍ مشـتركةٍ، وتكامـلُ الجهـودِ بـينَ الفـرقِ المحليَّـةِ، بمـا يضمـنُ الاسـتفادةَ الأكـبرَ من المواردِ المتاحةِ
  - استخدامُ حلولٍ مبتكرةٍ منخفضةِ التكلفةِ مثلَ المنصَّاتِ الرقميَّةِ والأنشطةِ المجتمعيَّةِ القائمةِ على المشاركةِ
  - الاعتـمادُ عـلى نمـوذجِ تمويـلٍ مختلـطٍ (تمويـلٌ خارجـيٌّ للمراحـلِ التأسيسـيَّةِ، وعائـداتٌ ذاتيَّـةٌ مـن بيـعِ التذاكـرِ وتأجـيرِ المساحاتِ وتقديمِ الخدماتِ الإنتاجيَّةِ)
  - ناءُ خططِ خروجٍ آمنةٍ بتعزيزِ قدرةِ المجتمعاتِ المحليَّةِ على إدارةِ المبادراتِ ومتابعتِها

- تدخُّـلُ المؤسَّسـاتِ الحكوميَّـةِ، وضعـفُ التنسـيقِ معهـا، وصعوبـةُ الحصـولِ أحيانًـا عـلى التراخيـصِ اللازمـةِ، والحاجـةُ إلى الموافقـاتِ والتنسـيقِ المسـبقِ مـع جهـاتٍ حكوميَّـةٍ قـد لا تتوافـقُ مـع رسـالةِ المبـادراتِ والمؤسَّسـاتِ في بعـضِ الأحيـانِ، مـع الأخـذِ بعـينِ الاعتبـارِ أنَّ الأمـرَ قـد يختلـفُ مـن محافظـةٍ إلى أخـرى، وفي بعـضِ المحافظـاتِ تحتـاجُ الموافقـاتُ وقتًـا طويـلًا جـدًّا لتنفيـذِ أنشـطةٍ خـارجَ نطـاقِ أماكـنِ الجمعيَّـاتِ أو المؤسَّسـاتِ. تشـيرُ رهـفُ غنيمـةُ مـن "مؤسَّسـةِ مـوجٍ التنمويَّـةِ" إلى أنَّ "البيروقراطيَّةَ والروتينَ في عمليَّاتِ التفويضِ والترخيصِ تؤخِّرُ تنفيذَ المشاريعِ"

  يتـمُّ التعامـلُ مـع الأمـرِ مـن خـلالِ طـرقٍ متعـدِّدةٍ، منهـا العلاقـاتُ الشـخصيَّةُ، أو الحصـولُ عـلى الموافقـاتِ بشـكلٍ مبكِّـرٍ لضمانِ تنفيذِ الأنشطةِ في وقتِها المحدَّدِ.

  يُضـافُ إلى ذلـكَ التهميـشُ المتعمَّـدُ أحيانًـا مـن المؤسَّسـاتِ الثقافيَّـةِ الحكوميَّـةِ. يقـولُ طـوني شـمعونُ مـن "فرقـةِ بارمايـا للفلكلـورِ السريـانيِّ": "قلَّـةُ الدعـواتِ للمشـاركةِ بالمهرجانـاتِ المحليَّـةِ بالرغـمِ مـن وجـودِ مهرجانـاتٍ تقـومُ بهـا هيئـةُ الثقافـةِ لكنْ لا يتمُّ دعوةُ الفرقةِ، بالرغمِ من أنَّ الفرقةَ مشاركاتُها الخارجيَّةُ كثيرةٌ."

- نقصُ المهاراتِ والخبراتِ المحليَّةِ، وهجرةُ الكفاءاتِ الشابَّةِ، وقلَّةُ المهتمِّينَ بالعملِ الثقافيِّ، وصعوبةُ الوصولِ للتدريباتِ اللازمةِ التخصُّصيَّةِ، ما قد يحدُّ من جودةِ التنفيذِ واستدامةِ المشاريعِ. ويكمنُ الحلُّ في فتحِ برامجَ للتدريبِ والتمكينِ للكوادرِ الموجودةِ لرفعِ كفاءتِها، مع تدريبِ فرقٍ جديدةٍ دوريًّا لضمانِ الاستمراريَّةِ، وبناءِ شراكاتٍ مع مؤسَّساتٍ أكاديميَّةٍ دوليَّةٍ بهذا الخصوصِ، وتوفيرِ مساحاتٍ آمنةٍ تشجِّعُ الشبابَ على البقاءِ والمشاركةِ.
- مقاومةُ التغييرِ وعدمُ قبولِ بعضِ المجتمعاتِ للمبادراتِ الجديدةِ، وعدمُ إدراكِ أهميَّةِ المشاريعِ الثقافيَّةِ أو برامجِ السلامِ وبرامجِ حفظِ التراثِ، وعدمُ الرغبةِ في الانخراطِ بها خاصَّةً بالنسبةِ للأجيالِ الجديدةِ. ويتمُّ التعاملُ مع ذلكَ من خلالِ التوعيةِ المستمرَّةِ لتعزيزِ فهمِ أهميَّةِ التراثِ والسِّلمِ الأهليِّ ودورِ المجتمعِ في الحفاظِ عليهِ، وإشراكِ المجتمعِ المحليِّ في تصميمِ وتنفيذِ البرامجِ، والاعتمادِ على المتطوِّعينَ من ذاتِ المجتمعِ، وربطِ الشبابِ وحياتِهم اليوميَّةِ بالتراثِ المحليِّ، وإظهارِ قيمةِ التراثِ الثقافيِّ والبيئيِّ كجزءٍ من الهويَّةِ، ودمجِ القضايا الثقافيَّةِ ضمنَ حلولٍ اجتماعيَّةٍ واقتصاديَّةٍ، مثلَ تحويلِها إلى مصدرِ دخلٍ مستدام.

  يُضافُ إلى ذلكَ المقاومةُ المجتمعيَّةُ للتمكينِ النسائيِّ، ويتمُّ التعاملُ مع ذلكَ بتنفيذِ برامجَ توعيةٍ وحوارٍ مجتمعيٍّ لتعزيزِ قبولِ العدالةِ الجندريَّةِ.
- التحدِّياتُ النفسيَّةُ والاجتماعيَّةُ للأطفالِ والشبابِ على وجهِ الخصوصِ بسببِ التأثيراتِ النفسيَّةِ للحربِ، ما يحدُّ من قدرتِهم على المشاركةِ في البرامجِ الثقافيَّةِ وبرامجِ الحوارِ والتماسكِ المجتمعيِّ، ويتمُّ التعاملُ مع ذلكَ من خلالِ توفيرِ مساحاتٍ آمنةٍ وآليَّاتِ الدعمِ النفسيِّ الاجتماعيِّ، وخلقِ بيئةِ عملٍ وتطوُّعٍ دافئةٍ ومشجِّعةٍ، ودمجِ آليَّاتِ "التفريغِ" في البرامجِ مثلَ جلساتِ الحوارِ بعدَ الأفلامِ.
- بالنسبةِ للمبادراتِ الَّتي تعملُ بمجالِ الحرفِ اليدويَّةِ على وجهِ الخصوصِ، فهي تعاني من عدمِ وجودِ أسواقٍ لتصريفِ المنتجاتِ، وصعوبةِ التعاملِ مع وسائلِ التواصلِ الاجتماعيِّ لترويجِ المنتجاتِ، وتكاليفِ الشحنِ المرتفعةِ، وارتفاعِ أسعارِ الموادِّ الأوَّليَّةِ وعدمِ توافُرِها، وعدمِ وجودِ معارضَ كافيةٍ للتسويقِ. من الحلولِ الممكنةِ شراءُ الموادِّ بكميَّاتٍ محدودةٍ حسبَ الطلبِ، واستخدامُ أساليبِ تسويقٍ رقميَّةٍ، وربطُ المنتجاتِ التراثيَّةِ بالحياةِ المعاصرةِ للتشجيعِ على اقتنائِها، والعملُ على فتحِ أسواقٍ جديدةٍ داخلَ سوريا وخارجَها حسبَ الإمكانيَّاتِ.
- فقدانُ عناصرَ كثيرةٍ من التراثِ الثقافيِّ بسببِ الإهمالِ وضعفِ التوثيقِ، وعدمِ وجودِ حقوقِ ملكيَّةٍ فكريَّةٍ. يمكنُ التعاملُ مع ذلكَ من خلالِ إنشاءِ منصَّاتٍ ومبادراتٍ متخصِّصةٍ لتوثيقِ التراثِ والقصصِ المحليَّةِ، وإشراكِ المجتمعِ في عمليَّةِ الحفظِ، ووجودِ قوانينَ تحفظُ الملكيَّةَ الفكريَّةَ.

التحدِّياتُ الخاصَّةُ بالأوضاعِ في سوريا عمومًا

- يعملُ نشطاءُ المجتمعِ المدنيِّ والفاعلونَ الثقافيُّونَ في سوريا اليوم ضمنَ بيئةٍ صعبةٍ جدًّا، تتسمُ بالاستقطابِ الشديدِ والحساسياتِ وصغرِ مساحةِ الوسطِ، وتسارعِ الأحداثِ والتغييراتِ السياسيَّةِ والاجتماعيَّةِ وضعفِ الثقةِ، ويتعرضونَ للهجومِ في كثيرٍ من الأحيانِ ومن قبلِ كلِّ الأطرافِ، ما يعني صعوبةَ تنفيذِ العديدِ من الأنشطةِ الثقافيَّةِ والمدنيَّةِ.

  يتمُّ التعاملُ مع ذلكَ بطرقٍ مختلفةٍ منها التنوعُ ضمنَ فرقِ السِّلمِ الأهليِّ نفسها، والانتباهُ إلى ضرورةِ الحساسيَّةِ العاليةِ والخطابِ المتوازنِ الجامعِ والتركيزِ على القيمِ المشتركةِ بدلَ الخلافاتِ، ودراسةُ الطرقِ الأنسبِ لإدارةِ النزاعاتِ وبناءِ الجسورِ، والتشبيكُ مع شركاءَ يحملونَ نفسَ القيمِ.
- الصعوباتُ الأمنيَّةُ وعدمُ استقرارِ الأوضاعِ بعدَ في العديدِ من المناطقِ السوريَّةِ ما يعني عدمَ القدرةِ على تنفيذِ بعضِ الأنشطةِ خاصَّةً الميدانيَّةِ. يتمُّ التركيزُ على استخدامِ المساحاتِ الآمنةِ، والتعاونِ مع شركاءَ محليينَ، وتكييفِ البرامجِ لتكونَ مرنةً وآمنةً للمشاركينَ. يقولُ أنطونُ مقديسُ من "دارِ ورشةٍ للصناعةِ الثقافيَّةِ": "نعملُ بحذرٍ شديدٍ، ونختارُ مواقعَ فعالياتِنا بعنايةٍ، ونتواصلُ مع الأطرافِ المحليَّةِ لضمانِ السلامةِ".
- عدمُ الاستقرارِ الاقتصاديِّ في البلادِ ما يعني عدمَ القدرةِ على تنفيذِ العديدِ من الأنشطةِ وانكفاءَ كثيرينَ عن العملِ المدنيِّ والثقافيَّةِ لصالحِ العملِ على تأمينِ احتياجاتِهم الأساسيَّةِ. ويتطلَّبُ ذلك قدرةً أكبرَ على جذبِ المشاركينَ لهذه الأنشطةِ بحوافزَ وطرقٍ مختلفةٍ.

- التحدِّياتُ اللوجستيَّةُ والميدانيَّةُ وضعفُ البنيةِ التحتيَّةِ الثقافيَّةِ: بما في ذلك عدمُ توافرِ أماكنَ مخصصةٍ ومجهزةٍ للأنشطةِ الثقافيَّةِ كمساحاتٍ عامةٍ متاحةٍ، وعدمُ توافرِ تجهيزاتٍ مثلَ الكاميراتِ والآلاتِ الموسيقيَّةِ وغيرها، وصعوبةُ التنقلِ، ونقصُ الكهرباءِ، وضعفِ الانترنتِ. يتمُّ التعاملُ مع ذلكَ من خلالِ وضعِ خططِ تنفيذٍ مرنةٍ، والاعتمادِ على المواردِ الموجودةِ ومواءمتِها مع الحاجةِ الفعليَّةِ بطرقٍ إبداعيَّةٍ مثلَ الاعتمادِ على عروضٍ مسرحيَّةٍ صغيرةٍ في مساحاتٍ مفتوحةٍ، إلى جانبِ تعزيزِ التعاونِ مع الشركاءَ المحليِّين لضمانِ توفيرِ المواردِ والخدماتِ بشكلٍ فعالٍ، مثلَ استخدامِ مقراتَ لجمعياتٍ أخرى واستئجارِ القاعةِ والمعدَّاتِ.

8 الأثَر

يتنوّعُ أثرُ المبادراتِ والمؤسّساتِ قيدَ الدراسةِ، ولتنوعِه أسبابٌ عدةٌ تتعلّقُ بمجالاتِ العملِ، والمنطقةِ، والشرائح المستهدفةِ، والأهدافِ، والتحدياتِ والصعوباتِ، وغيرها من العواملِ. كما أن الأثرَ في بعضِ الأحيانِ يمكنُ أن يكونَ مباشراً وفي أحيانٍ أخرى غيرَ مباشرٍ، وقد يكونَ قصيراً، متوسطاً أو طويلَ الأمدِ. مع الإشارةِ إلى صعوبةِ قياسِ أثرِ هذا النوعِ من المشاريعِ وهو بمجمله أثرٌ تراكميٌّ، إلا في حالِ توافرِ أدواتٍ واضحةٍ لذلكَ واستخدامِها بشكلٍ قصديٍّ من المجموعاتِ قيدَ الدراسةِ، وهو أمرٌ غيرُ متوافرٍ في معظمِ الأحيانِ.

في الوقتِ نفسهِ، تشيرُ بعضُ المبادراتِ إلى أثرٍ كميٍّ واضحٍ لأنشطتها: تنفيذُ جلساتٍ حواريةٍ، تدريبُ قياداتٍ محليَّةٍ، تنظيمُ فعالياتٍ ثقافيَّةٍ وفنيَّةٍ، مشاريعُ تمكينٍ ودعمِ اقتصاديٍّ خاصّةٍ للنساءِ والشبابِ... وغيرها من النقاطِ، في حين أن مبادراتٍ أخرى تنوهُ إلى أن أثرَ برامجِها "مؤقّتٌ" لأسبابٍ عدةٍ على رأسها عدمُ القدرةِ على الاستمراريةِ بسببِ التكاليفِ الماديّةِ والجهدِ الكبيرِ الَّذي تتطلّبهُ الأنشطةُ وهو أمرٌ غيرُ متاحٍ لدى كثيرٍ من المبادراتِ خاصّةً الصغيرةِ والناشئةِ، لذلك تكتفي في العديدِ من الأحيانِ ببرامجٍ وأنشطةٍ قصيرةِ الأمدِ قد لا يكونُ لها أثرٌ واضحٌ وملموسٌ.

تأثيرُ المبادراتِ والبرامجِ على حفظِ وصونِ التراثِ الماديِّ وغيرِ الماديِّ

أشارَ المشاركونَ في الاستبيانِ إلى تحقيقِ عملِهم وبرامجِهم آثاراً ملموسةً، ومتباينةَ الحجمِ، بما يخصُّ الحفاظَ على التراثِ وحمايتَه من الاندثارِ. ويمكنُ الحديثُ عن ذلكَ ضمنَ محاورَ عدةٍ:

- توثيقُ أجزاءٍ وعناصرَ من التراثِ اللاماديِّ بأساليبَ مختلفةٍ، والتعريفُ بها لشرائحَ متنوعةٍ ومختلفةٍ من الجمهورِ سواء داخلَ سوريا أو خارجَها، وذلكَ بأدواتٍ منها: الأغنياتُ - حلقاتُ البودكاست - الأوراقُ البحثيةُ - المهرجاناتُ الفنية- وغيرها.
- التوعيةُ بأهميةِ التراثِ بين شرائح مختلفةٍ منها الشباب والأطفالُ، وإعادة ارتباط الشباب بالتراث كجزءٍ من هويتِهم، وبالتالي إمكانية تأهيل عددٍ من الشباب ليكونوا حاملين للتراث.
- إعادة الاعتبار للأجيال الكبيرة باعتبارِها الحامل الأكثر قيمةً للتراث اللاماديِّ.
- إدخالُ المشاريعِ الثقافيَّةِ إلى عددٍ من المجتمعاتِ المهمشةِ.
- إعادة إحياء وتنشيط عددٍ من الحرفِ اليدويّةِ المحليّةِ، وتدريبُ ممارسينَ جددٍ عليها، وتحويلُها إلى مصدرِ رزقٍ لعددٍ من العاملينَ بها، والسعيُ لربطِها بالحياةِ المعاصرةِ ونقلِها إلى الحياةِ اليوميةِ لإخراجِها من دائرةِ الجمودِ، والتسويقُ لمنتجاتٍ ثقافيّةٍ تراثيّةٍ والتشجيعُ على اقتنائِها، والتشجيعُ على وجودِ خطوطِ إنتاجٍ جديدةٍ مرتبطةٍ بها، والسعيُ لأن يكونَ هذا التسويق من المنتجِ للمستهلكِ مباشرةً دون وسيط، إلى جانبِ تشجيعِ النساءِ بشكلٍ خاصٍ على مزاولتِها.
- ترميمُ وتأهيلُ وحمايةُ عددٍ من المواقعِ الأثريّةِ التي تعرّضت للإهمالِ والتخريبِ والدمارِ خاصّةً خلالَ سنواتِ الحربِ، بالتعاونِ مع المجتمعِ المحليِّ.

تأثيرُ المُبادَراتِ والبرامجِ على مَساراتِ الحِوارِ والسِّلمِ الأهليِّ

من خلال أدواتٍ مختلفةٍ، بما فيها الأدواتِ الثقافيّةِ، حاولت المجموعاتُ قيدَ الدراسةِ العملَ على برامجَ متنوعةٍ تستهدفُ الوصولَ إلى مستوياتَ معينةٍ من السلمِ الأهليِّ وتخفيفِ النزاعاتِ خاصّةً في بعضِ السياقاتِ الأكثرِ حساسيّةً، وقد تكثّفَ هذا العملُ بشكلٍ واضحٍ في العامِ الأخيرِ وعقبَ سقوطِ نظامِ الأسدِ، بدايةً لأن العملَ على برامجَ السلمِ الأهليِّ أصبحَ أكثرَ سهولةً نسبياً مع زوالِ المخاوفِ الأمنيةِ المرتبطةِ به واحتمالِ تعرّضِ من يعملُ بها لمضايقاتٍ، كما أن الحاجةَ أصبحتْ ملحّةً لزيادةِ وتيرةٍ وفاعليةِ هذه البرامجِ مع إدراكِ أهميتها خاصّةً في كثيرٍ من المناطقِ التي كانت وما زالت تعاني من حساسياتٍ واستقطاباتٍ على مستوياتَ مختلفةٍ.

ومن الأثرِ الذي يمكنُ أن نتحدّثَ عنها ضمن هذا المحورِ نذكر:

- استخدامُ التراثِ كمدخلٍ للسلامِ وتعزيزِ الهويةِ والانتماءِ المشتركِ: في بعضِ المناطقِ ذاتِ الحساسياتِ تم استخدامُ التراثِ كحاملٍ للقيمِ المشتركةِ، وتمّت إعادةُ ربطِ العلاقاتِ بين مجتمعاتٍ منقسمةٍ من خلالِ التراثِ الماديِّ واللاماديِّ، وبعضِ الممارساتِ، فتعرفَ الناسُ إلى تراثِ مناطقَ أخرى وعاداتِها وطقوسِها وتمّ التركيزُ على المشتركاتِ بين المناطقِ،

وأيضاً تم استخدامُ التراثِ والثقافةِ كأداةٍ لكسرِ الصورِ النمطيّةِ عن بعضِ المناطقِ والتعرّفِ إلى بعضِ السردياتِ التي كانت مغيبةً خلالَ سنواتِ النزاعِ. كما تم الاعتمادُ على الذاكرةِ الجمعيّةِ والهويةِ الثقافيّةِ التقاطعيّةِ بين فئاتِ المجتمعِ المختلفةِ لخلقِ روابطَ مشتركةٍ، مثل استحضارِ عناصرَ من الموروثِ الموسيقيِّ والحكايةِ وغيرها من الممارساتِ التي تعيدُ تفعيلَ القيمِ المشتركةِ وتضعفُ الانقسامَ.

ومن الأمثلةِ على ذلك من مجموعةِ "بلدنا ثروتنا": "مبادرةُ التينِ الهبولِ: انطلقتْ عندما فصلَ الموظفونَ من وظائفِهم. فكرنا في شراءِ منتجاتٍ محليةٍ مثل التينِ الهبولِ من مصياف، وإهدائِها لمنطقةٍ أخرى كانت تعاني من الحربِ خلالَ السنواتِ الماضيةِ، مثل الغوطةِ الشرقيةِ. نفّذنا زيارتين إلى دوما وحموريةَ برفقةِ سيداتٍ من مصياف، بهدفِ إهداءِ التينِ وفتحِ قنواتِ حوارٍ، ومن خلالها تعرفنا إلى فصولٍ من معاناةِ الناسِ في الغوطةِ، فالتقينا مثلا بممرضةٍ ميدانيةٍ حكت لنا عن القصفِ والمجازرِ. لا يمكن ربما الحديثُ عن أثرٍ مباشرٍ وواضحٍ لهذه الزياراتِ خاصّةً أنها لم تكن سهلةً نفسيّاً، لكن على الأقل نتعرّفُ إلى ما حصلَ في مناطقٍ أخرى".

مثالٌ آخر من "شبكة نول للسلم الأهلي": "أسفرتْ مبادراتُ الحوارِ والتعاونِ وبعضُ الأنشطةِ مثلَ نشاطِ التعازي في عدةِ مناطقَ في الجنوبِ السوريِّ عن تقليلِ الاحتقانِ وتعزيزِ التماسكِ بين المكوّناتِ المختلفةِ خاصّةً بعد النزاعاتِ التي حصلت مؤخّراً".

- نتائجٌ إيجابيةٌ لبرامجِ وجلساتِ الحوارِ وبناءِ مجتمعاتٍ آمنةٍ يمكنُ للشبابِ على وجهِ الخصوصِ تبادلُ وجهاتِ النظرِ فيها رغمَ الانقساماتِ بين مناطقِهم: أشارَ عددٌ من المشاركين إلى أن برامجَ وجلساتِ الحوارِ والتوعيةِ والتدريباتِ على اختلافِها، أدّت في العديدِ من الأحيانِ إلى: تقليلِ حالاتِ التصعيدِ والعنفِ في بعضِ المجتمعاتِ، وتغييرِ الصورِ النمطيّةِ ومحاربةِ السردياتِ التعميميّةِ، وتقليصِ الفجوةِ بين المدينةِ والريفِ إلى حدٍّ ما، ومحاربةِ خطابِ الكراهيةِ والخطابِ الطائفيِّ، وبناءِ نسيجٍ مجتمعيٍّ قائمٍ على التعاونِ والمواطنةِ لا على الانقسامِ، إلى جانبِ خلقِ ذكرياتٍ إيجابيةٍ مشتركةٍ تحلُّ محلَّ ذكرياتِ النزاعِ والانقسامِ، وتوعيةِ المجتمعِ بخطورةِ تداولِ الأخبارِ الكاذبةِ والتضليلِ الإعلاميِّ، بالإضافةِ إلى دورِها في تخفيفِ حدّةِ خطابِ الكراهيةِ.

يقولُ كامل عوض من "ملتقى هارموني الثقافي": "أظهرتِ المتابعاتُ الميدانيةُ أن من بينِ أكثر من 600 مشاركٍ في برامجِ هارموني وتدريباتِه، وُجد فقط شخصانِ يحملان خطاباً طائفياً، أحدهما عاد واعتذر لاحقاً بعد خوضه تجربةَ المشاركةِ والتفاعلِ ضمنَ بيئةِ هارموني".

ويقولُ شربل حنو من منظمةِ "تدمرتو للتنميةِ والتماسكِ المجتمعي": "ساهمتْ لجانُ الحمايةِ المدنيةِ في أحياءِ القامشلي في تحسينِ التواصلِ بين الأهالي، والحدّ من بعضِ النزاعاتِ البسيطةِ من خلالِ الحوارِ المباشرِ والتعاونِ المجتمعيِّ".

- خلقُ مساحاتٍ للحوارِ من خلالِ الفنِّ، خاصّةً للأطفالِ والشبابِ، وإحياءُ الفضاءاتِ والمساحاتِ العامةِ المهملةِ وتحويلُها لمساحاتٍ آمنةٍ للجميعِ تكسرُ الحواجزَ بين بعضِ المناطقِ، وهنا سوف نذكرُ مجموعةً من الأمثلةِ لتنوعِها وأهميّتها:

تقولُ يارا قسطون من "مجتمع حمص السينمائي": "كانتْ مناقشاتُ عروضِ الأفلامِ مساحةً للحوارِ حولَ قضايا تلمسُ المجتمعَ السوريَّ اليوم كما فتحتِ البابَ أمامَ المشاركين للتعبيرِ عن تجاربِهم ومواقفِهم المختلفةِ مما ساهمَ في تعزيزِ ثقافةِ الإصغاءِ المتبادلِ والتفاهمِ بين فئاتٍ متنوعةٍ من المجتمعِ وبدأ الأفرادُ ينظرونَ إلى الآخر كشريكٍ في التجربةِ لا كخصمٍ أو كمختلفٍ، كما أن الورشَ التدريبيةَ لم تكن فنيةً فحسب بل ذاتُ أثرٍ اجتماعيٍّ مباشرٍ لأنها عملت على بناءِ الثقةِ بين المشاركين وتعزيزِ قدرتهم على التعبيرِ عن الذاتِ والتعاملِ مع الاختلافِ وكسرِ الحواجزِ النفسيةِ الناتجةِ عن التوتراتِ الاجتماعيةِ السابقةِ، وهناك مجموعاتٌ من المتدربين شكلت صداقاتٍ خارجَ إطارِ مجتمعِ حمص السينمائي وكان حبُّ السينما هو الرابطُ المشتركُ فيما بينهم".

ويقولُ بشرُ عيسى من "جمعية أصدقاء الموسيقا - كورال أرجوان": "وفّر مشروعُ مظلّتي للأطفال مساحةً آمنةً للتعبيرِ عن أنفسهم، وعلّمهم مهاراتِ الكابويرا التي عزّزت التعاونَ والانضباطَ والعملَ الجماعيَّ، ما ساهمَ في تقويةِ الروابطِ بين الأطفال وتقليلِ النزاعاتِ بينهم. الحفلاتُ التي نقدّمها في الشوارعِ والساحاتِ والحدائقِ تخلق حالةً وجدانيةً مشتركةً بين الجمهور والمشاركين، وشكّلتْ حدثاً ثقافيّاً منعشاً في مدينةِ طرطوس التي تحتاجُ مثلَ هذه الفضاءات".

وتقولُ ربا الفريحات من "الجمعية الثقافية السريانية في سوريا": "أسهمَ مهرجانُ أخوّةِ الشعوب في خلقِ مساحةِ لقاءٍ حقيقيةٍ بين الناس بعد سنواتٍ من الانقسامِ، وذكّرَ الجميع بأن التنوعَ هو مصدرُ قوةٍ وجمالٍ، كما أنه شجّع الشبابَ على الانخراطِ في العملِ الثقافيِّ التطوعيِّ، فشاركوا في التنظيمِ والتوثيقِ والتعريفِ بالتراثِ المحليِّ بلغاتِهم ولهجاتِهم".

ويقولُ بشر عيسى من "جمعية أصدقاء الموسيقا - كورال أرجوان" في طرطوس: "مشاركةُ أفرادٍ من خلفياتٍ اجتماعيةٍ، عمريةٍ، وثقافيةٍ متعددةٍ في نشاطٍ واحدٍ منتظمٍ خلقت شبكاتٍ جديدةً من العلاقاتِ الإنسانيةِ وبخاصةٍ بين أهالي طرطوس والوافدين أو النازحين إليها بسببِ الحرب".

* الإسهامُ في كسرِ الصورِ النمطيّةِ عن النساء وتشجيعِ مشاركتهنّ في الفضاءِ العام بثقةٍ واستقلاليةٍ، وتعزيزُ مشاركةِ النساء في عملياتِ صنعِ القرارِ، ورفعُ وعيِ المجتمعِ بأهميةِ دورهنّ في القيادةِ وبناءِ السلامِ، وتعزيزُ قدرةِ النساء ذواتِ الإعاقة ومقدّماتِ الرعايةِ على الاندماجِ والمشاركةِ الفاعلةِ. يضيفُ بشرُ عيسى من طرطوس: "أصبحَ كورالُ "سيداتِ النغم" في طرطوس منصةً لكثيرٍ من النساءِ اللواتي لم يحظين سابقاً بأي فرصةٍ للغناء أو الظهورِ على المسرح، وهنّ دائماتُ التصريحِ بأن هذه التجربةَ قد غيّرت نظرتهن لأنفسهنّ، وعزّزت ثقتهنّ، ووسّعت شبكاتهنّ الاجتماعية".

إلى جانبِ النقاطِ المذكورةِ والتي تشملُ بشكلٍ أساسيٍّ الأثرَ على جوانبَ متعلقةٍ بكل من التراثِ السوريِّ، والسلمِ الأهليِّ، فقد عبّرَ المشاركون عن تأثيراتٍ إيجابيةٍ نفسيّةٍ للمبادراتِ والبرامجِ التي يعملون عليها، فهي ساهمت في تخفيفِ آثارِ الصدمةِ على فئاتٍ معيّنةٍ مثل الناجينَ والناجيات من الاعتقالِ، وأهالي المفقودين والمغيبين، وتحسينِ الصحّةِ النفسيةِ للمشاركين في بعضِ البرامجِ، وخلقت شعوراً بالجدوى من هذا النوعِ من العملِ والنشاطِ المدنيِّ والثقافيِّ.

وأشاروا إلى قُدرةِ برامجِهم ضمنَ مستوياتٍ محددةٍ على التأثيرِ على المجتمعِ المدنيِّ نفسِه ليُحافظَ على خطابٍ وسطيٍّ، وعلى وسائلِ الإعلامِ لإنتاجِ محتوى إعلاميٍّ يصبُّ بأهدافِ السِّلمِ الأهليِّ والتماسكِ المجتمعيِّ، وعلى المدارسِ من خلالِ إدماجِ ثقافةِ اللّاعنفِ فيها ما أدّى إلى تحسينِ سلوكِ الأطفالِ وتعزيزِ التواصلِ الإيجابيِّ بينهم وبينَ المعلّمينَ وتعزيزِ انتمائِهم لمجتمعاتِهم.

كذلكَ، فقد حقّقتِ البرامجُ المذكورةُ أثرًا واضحًا على المجموعاتِ والمبادراتِ نفسِها والأفرادِ العاملينَ ضمنَها، فهي ساهمت في تطويرِ معارفِهم وقدراتِهم ضمنَ مجالاتٍ متعدّدةٍ ومتنوّعةٍ، منها حمايةُ التراثِ وصونُه، والعملُ على التماسكِ المجتمعيِّ بأدواتٍ ثقافيّةٍ، والقدرةُ على استهدافِ الفئاتِ الأكثرِ تهميشًا وحساسيّةً، وتصميمُ وإدارةُ البرامجِ الثقافيّةِ، إضافةً إلى الأثرِ الإيجابيِّ من الناحيةِ النفسيّةِ.

الرُّؤى والخُطَطُ المُستَقبليَّة

تسعى المجموعاتُ قيدَ الاستبيانِ لتطويرِ وتوسيعِ عملِها مستقبلاً، من خلالِ العديدِ من الرؤى والأفكارِ، بعضها على شكلِ خططٍ واضحةِ المعالمِ، أو على شكلِ تطلعاتٍ ما زالت بحاجةٍ لترجمةٍ إلى مخططاتٍ أكثرَ وضوحاً. يبيّنُ ذلك وجودُ وعيٍ واهتمامٍ واضحين لدى هذه المجموعاتِ لأهميةِ عملِها، رغمَ كلِّ الصعوباتِ والتحدياتِ، ولأهميةِ المساراتِ التي تعملُ عليها وإن كان من الصعبِ على الدوامِ قياسُ أثرِها بشكلٍ واضحٍ ومباشرٍ. يندرُ أن نتحدّثَ إلى أيٍّ من القائمين/ات على هذه المبادراتِ ونلمسَ انكفاءً عن متابعةِ العملِ مهما كانَ حجمُ التحدياتِ، بل على العكسِ، هناك إيمانٌ كبيرٌ بضرورةِ المتابعةِ وتوسيعِ المساحاتِ والأثرِ مهما كان العملُ بطيئاً ومرهقاً ومتطلّباً للكثيرِ من المواردِ التي قد لا تتوفّرُ على الدوامِ.

تشملُ هذه الرؤى والمخططات:

1. تنظيمُ العملِ داخلَ المؤسسةِ، بما في ذلك
   - الانتقالُ من حالةِ التطوعِ إلى حالةِ المأسسةِ
   - الترخيصُ والحصولُ على إطارٍ قانونيٍّ
   - الحصولُ على مقرٍّ فيزيائيٍّ للعملِ
   - تصميمُ أدلّةٍ تدريبيةٍ ومنهجيةٍ لعملِ المؤسسةِ
   - اعتمادُ أدواتٍ وتقنياتٍ حديثةٍ لتحسينِ الكفاءةِ
   - بناءُ شراكاتٍ أكثرَ صلابةً ووضوحاً مع مختلفِ الأطرافِ صاحبةِ المصلحةِ في المنطقةِ وسوريا، سواءً المجتمعُ الأهليّ أو النقاباتُ أو القطاعُ الخاصّ أو المنظماتُ الدولية أو المؤسساتُ الحكومية وغيرها

     البحثُ عن فرصٍ تمويليةٍ أفضلَ وأكثرَ استدامةً، وتنويعُ مصادرِ الدخلِ لضمانِ استمرارِ المبادرةِ على المدى الطويلِ، واستخدامُ آلياتِ تمويلٍ مبتكرةٍ مثلَ التمويلِ الذاتيّ
   - البحثُ عن فرصٍ تدريبيةٍ للفرقِ العاملةِ على الأرضِ لبناءِ قدراتها، ضمنَ مختلفِ القطاعاتِ ذاتِ الصلةِ سواءً الإدارية أو التقنية أو الفنية أو الثقافية
   - توسيعُ الفرقِ عبر استقطابِ وتدريبِ شبابٍ جددٍ من مختلفِ الخلفياتِ، لضمانِ استمراريةِ المبادراتِ، وتوزيعِ المسؤولياتِ على قاعدةٍ أوسعَ من الكفاءاتِ
   - توسيعُ جغرافيةِ العملِ إلى مناطقَ جديدةٍ داخلَ سوريا، وتقديمُ خدماتٍ أكثرَ تنوعاً
   - تطويرُ نماذجَ عملٍ قابلةٍ للتكرارِ في مناطقَ أخرى وحسبَ السياقِ والظروفِ في كلِّ منطقةٍ
2. الاستمرار وتطويرُ العَملِ في مجالِ الثقافةِ والتُّراثِ والسِّلمِ الأهليّ، بما في ذلك:
   - تمكينُ المجتمعِ المحليِّ وتدريبُ وتطويرُ القدراتِ المحليةِ لزيادةِ مشاركتِهم في العملِ الثقافيِّ والسلمِ الأهليِّ داخلَ مجتمعاتِهم، بما في ذلك بناءُ وتمكينُ أجسامٍ محليةٍ أهليةٍ قادرةٍ على التعاملِ مع الأزماتِ والمواقفِ الأكثرِ حساسيةً وصعوبةً.
   - تَصميم مشاريعَ ومبادراتٍ لتعزيزِ السّلمِ الأهليِّ عبرَ الثقافةِ والفنِّ، وزيادةُ التركيزِ على تدريبِ الشبابِ على استخدامِ الفنونِ كأداةٍ للتعبيرِ والحوارِ، وصولاً إلى بناءِ شبكاتٍ ثقافيةٍ أوسعَ تعززُ حضورَ الفنِّ كمساحةِ حوارٍ وسلامٍ.
   - تنفيذُ مشاريعَ متعلقةٍ بالتراثِ بوصفهِ حاملاً للتماسكِ، وإحياءُ نماذجَ تراثيةٍ من التكاتفِ المجتمعيِّ يمكنُ أن يكونَ لها أثرٌ إيجابيٌّ على المجتمعاتِ خاصةً التي تعاني من انقساماتٍ.
   - توثيقُ التراثِ بما يتَضَمَّنُ ذلكَ:
     - تنفيذُ مبادراتٍ محليّةٍ تهدفُ إلى المشاركةِ في التوثيقِ وتعزيزِ الحِرَفِ التقليديّةِ والتراثِ الشعبيِّ وضمانِ استدامتِها وتطويرِها بما يتناسبُ مع الواقعِ المحليِّ ولا يضرُّ بأصالتِها.
     - التوجُّهُ نحوَ التوثيقِ الرقميِّ مثلَ التسجيلاتِ الصوتيّةِ والمرئيّةِ واستخدامِ التقنياتِ الحديثةِ بما يسمحُ بالانتشارِ على نطاقاتٍ أوسعَ وضمنَ شرائحَ مستهدفةٍ جديدةٍ.
     - توثيقُ التراثِ الموسيقيِّ بشكلٍ احترافيٍّ من خلالِ تسجيلاتٍ صوتيّةٍ وفيديوهاتٍ تعليميّةٍ، لتصبحَ مرجعًا للموسيقيّينَ والمجتمعِ المحليِّ.

  - توسيعُ دوائرِ تسويقٍ وترويجِ الأعمالِ، خاصةً بالنسبةِ للحِرَفِ والمنتجاتِ اليدويّةِ، وإنشاءُ متاجرِ أونلاين وصالاتِ بيعٍ فيزيائيّةٍ.
  - إطلاق مشاريعَ مشتركةٍ بينَ المكوّناتِ السوريّةِ، تجمعُهم حولَ الفنونِ والحِرَفِ والتراثِ المشتركِ، لتكونَ الثقافةُ مساحةَ حوارٍ وتعاونٍ حقيقيٍّ لا مجرّدَ نشاطٍ رمزيٍّ.
  - افتتاحُ مراكزَ ثقافيَّةٍ محليَّةٍ مختَصَّةٍ بثقافاتٍ محليَّةٍ مهمَّشةٍ.
- دمْجُ نشطةِ التعليمِ غيرِ الرسميِّ والدعمِ النفسيِّ الاجتماعيِّ مع التوعيةِ الثقافيّةِ، وابتكارُ أدواتٍ ووسائلَ جديدةٍ للعملِ الثقافيِّ، مثلَ الفنونِ، والرياضةِ، والوسائطِ الرقميّةِ، والفعاليّاتِ المجتمعيّةِ لربطِ التعلّمِ بالقيمِ الثقافيّةِ وبناءِ السلامِ بشكلٍ أكثرَ إبداعًا وفاعليّةً.
- بناءُ شبكاتِ دعمٍ نفسيّ-ثقافيَّةٍ تساعدُ المُتَضرِّرينَ منَ الحربِ على التَّعافي.
- تطويرُ برامجَ تمكينٍ اقتِصاديٍّ ثقافيٍّ للنِّساءِ على وجْهِ الخصوصِ.

3. إنشاءُ شبكةٍ محليّةٍ أو اتحادٍ للتحالفاتِ الفنيّةِ تشملُ المؤسّساتِ والتجمّعاتِ الثقافيّةِ المستقلّةِ في سوريا، لتبادلِ الخبراتِ والدعمِ والتشبيكِ.
4. إشراكُ المجتمعاتِ المحليّةِ في قيادةِ المشاريعِ لضمانِ استمراريّتِها.
5. زيارةُ البلدانِ المجاورةِ للاستفادةِ من خبراتٍ مشابهةٍ.

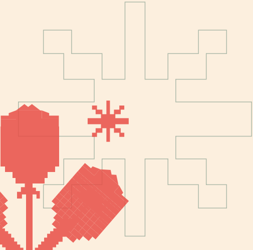

10 الاحتِياجاتُ

لمواجهةِ كلِّ التحدياتِ المذكورة، وتحقيقِ الرؤى المستقبليةِ لدى المجموعاتِ والمبادراتِ قيدَ الاستبيان، بيّنَ المشاركونَ/اتُ مجموعةً من الاحتياجاتِ التي ما زالت بحاجةٍ للعملِ على تلبيتها، ليتمكّنوا من التحركِ والعملِ بفاعليةٍ أكبرَ وتحقيقِ أثرٍ ملموسٍ ومستدامٍ سواءً في مسارِ الثقافةِ أو السلمِ الأهليِّ.

وفي حينِ أن هذهِ المتطلباتِ والاحتياجاتِ تصبُّ عمومًا في أهدافِ المجموعاتِ والمبادراتِ لتطويرِ عملِها ضمنَ مختلفِ المحاورِ سواءً كنا نتحدثُ عن عملٍ ثقافيٍّ أو عملٍ مدنيٍّ أو برامجٍ تربطُ الثقافةَ بالسلمِ الأهليِّ مباشرةً أو بشكلٍ غيرِ مباشرٍ، إلا أن معظمَ المجموعاتِ والمبادراتِ تهدفُ على المدى الأبعدِ، ليس فقط لتطويرِ عملِها بالشكلِ الحاليِّ، وإنما لإحداثِ أثرٍ أعمقَ في المجتمعِ. نلاحظُ إدراكَ معظمِ من شملهم الاستبيانُ لوجوبِ وضرورةِ هذا النوعِ من العملِ والنشاطِ خاصةً في المرحلةِ الحاليةِ من تاريخِ سوريا وما تعيشهُ من أحداثٍ مفصليّةٍ ومتسارعةٍ، ولأهميةِ أثرِ هذا العملِ رغمِ بطئهِ وصعوبتِهِ مقارنةً بالواقعِ المعقّدِ والحساسِ والمتسارعِ، ولازديادِ هذهِ الأهميةِ بشكلٍ خاصٍّ في المجتمعاتِ الأكثرِ تهميشًا وبعدًا عن المركزِ. لكنَّ هذا الإدراكَ مقترنٌ في كثيرٍ من الأحيانِ بنقصٍ حادٍّ في المواردِ والقدراتِ ومحدوديةِ القدرةِ على التحركِ والتأثيرِ رغمَ الرغبةِ والنيةِ في ذلك.

ويمكنُ تلخيصُ هذهِ الاحتياجاتِ ضمنَ النُّقاطِ التّاليةِ:

1. احتياجاتٌ خاصَّةٌ بالمبادراتِ وكوادرِها وقُدرتِها على العَمَل:
   - بناءُ قدراتٍ فعّالٍ للكوادرِ والمتطوعينَ في مختلفِ المجالاتِ ومنها العملُ الثقافيُّ والمجتمعيُّ، والعملُ مع الفئاتِ المهمشةِ والأكثرِ حساسيّةً.
   - مساعدةُ المبادراتِ على بناءِ قدراتِها بمجالِ الإدارةِ والحوكمةِ، مثلَ وضعِ النظامِ الداخليِّ والهيكليّةِ الإداريةِ، وبناءِ الخططِ والاستراتيجياتِ، وكتابةِ المشاريعِ، وإدارةِ المواردِ البشريّةِ، والمراقبةِ والتقييمِ، والتواصلِ، والتنظيمِ والعملِ المجتمعيِّ والقيادةِ، إلى جانبِ بناءِ قدراتٍ بمجالِ تخطيطِ وإدارةِ وتنفيذِ المشاريعِ الثقافيّةِ وتوثيقِ التراثِ والأرشفةِ الرقميّةِ على وجهِ الخصوصِ، وكذلك حلِّ النزاعاتِ والتماسكِ المجتمعيِّ.
   - التعرفُ على الجهاتِ المانحةِ وتسهيلُ الوصولِ إليها والتواصلِ معها، من خلالِ توفيرِ دليلٍ أو قائمةٍ بالمانحينَ المحتملينَ بحسبِ الاهتمامِ والتوجهِ التمويليِّ.
   - توفيرُ تمويلٍ مستدامٍ وغيرِ مؤقّتٍ للمؤسّساتِ والمبادراتِ، يغطي مختلفَ الأنشطةِ والبرامجِ وكذلك التكاليفَ التشغيليةَ الأساسيةَ.
   - توفيرُ حمايةٍ أمنيّةٍ وقانونيّةٍ لناشطي السلمِ الأهليِّ والفاعلينَ الثقافيّينَ ليتمكّنوا من العملِ بفاعليةٍ وأمانٍ ومن ممارسةِ أدوارِهم بحرّيّةٍ، وعدمُ التضييقِ بموضوعِ الموافقاتِ والتصريحاتِ وأن تكونَ مرنةً كفايةً لضمانِ ممارسةِ هذهِ الأنشطةِ بحرّيّةٍ وسلاسةٍ وأمانٍ.
   - توفيرُ التسهيلاتِ الإداريةِ مثلَ القدرةِ على الترخيصِ ووجودِ مقرٍّ دائمٍ وغيرِها، والاحتياجاتِ اللوجستيّةِ والتقنيّةِ المختلفةِ للأنشطةِ المتنوّعةِ مثلَ الكهرباءِ والتجهيزاتِ الصوتيّةِ والبصريّةِ وغيرِها من المستلزماتِ الأساسيةِ، وتطويرُ البنى التحتيةِ العامةِ والثقافيّةِ خاصةً في المناطقِ المهمشةِ.
   - المساعدةُ على التسويقِ خاصةً للمنتجاتِ الثقافيّةِ والتراثيّةِ.المساعدة على التسويق خاصة للمنتجات الثقافية.

2. احتياجاتٌ خاصَّةٌ بالتشبيكِ والتَّعاون:
   - وجودُ تعاونٍ أكبرَ بينَ المبادراتِ الثقافيّةِ والتي تعملُ بمجالِ السلمِ الأهليِّ، سواءً ضمنَ المنطقةِ الواحدةِ أو عابرةٍ للمناطقِ والحدودِ بينها، وبناءُ شراكاتٍ استراتيجيةٍ مع المنظماتِ المانحةِ والمؤسّساتِ الدوليةِ العاملةِ بذاتِ الشأنِ.
   - بناءُ شراكاتٍ مع الجهاتِ الحكوميةِ بما فيها وزارةُ الثقافةِ والمجالسِ المحليّةِ.تعزيز التعاون مع المجتمعات المحلية.
   - تعزيزُ التعاونِ مع المجتمعاتِ المحليّةِ.
   - تعزيزُ التعاونِ مع القطاعِ الخاصِّ لدعمِ تنفيذِ وتسويقِ المشاريعِ الثقافيّةِ والتراثيّةِ.

3. رفعُ الوعيِ مجتمعًا بأهميةِ العملِ الثقافيِّ ومشاريعِ التماسكِ المجتمعيِّ والسلمِ الأهليِّ بما يُسهِّلُ العملَ عليها وتنفيذَها، ويشملُ ذلك وجودُ منصاتٍ إعلاميّةٍ ذاتَ وصولٍ جيدٍ ومصداقيّةٍ عاليةٍ لتوسيعِ الشريحةِ المستهدفةِ ومساحةِ التأثيرِ.

4. توفيرُ عددٍ من الاحتياجاتِ الخاصةِ بالعملِ الثقافيِّ والعملِ المتعلقِ بحمايةِ التراثِ، ومنها: أرشيفٌ رقميٌّ وورقيٌّ للتراثِ اللاماديِّ يُسهِّلُ الوصولَ والبحثَ، ومساحاتُ عملٍ آمنةٍ لممارسةِ الأنشطةِ الثقافيّةِ براحةٍ واستقلاليّةٍ، وطرقُ تسويقٍ وأماكنُ عرضٍ فيزيائيّةٍ أو إلكترونيّةٍ للمنتجاتِ الثقافيّةِ ومهرجاناتٍ ثقافيّةٍ داعمةٍ، وإشراكُ الجيلِ الجديدِ في إحياءِ الهويّةِ الثقافيّةِ، وتوفيرُ منصاتٍ للشبابِ والنساءِ للتعبيرِ عن هويتِهم وتجاربِهم.

5. تَحسينُ الوضعِ الاقتصاديِّ في عمومِ البلادِ بما يسمحُ بإمكانيّةِ العملِ بأريحيّةٍ أكبرَ على البرامجِ الثقافيّةِ والمدنيّةِ وكذلك تسويقِ المنتجاتِ التراثيّةِ..

11 دراساتُ حالَةٍ

بهدفِ فهمٍ أعمقَ لأثرِ التدخلاتِ التي عملت عليها المبادراتُ على ملفّي العملِ الثقافيِّ والتماسكِ المجتمعيِّ وتحدياتِها وآفاقِها المستقبليةِ، ارتأينا دراسةَ عددٍ منها بشكلٍ مفصّل، واخترنا مبادراتٍ متنوعةٍ من حيث النشاطِ الثقافيِّ، والحيزِ الجغرافيِّ، والفئاتِ المستهدفةِ، وطرحنا على القائمينَ عليها أسئلةً إضافيةً للحصولِ على إجاباتٍ معمقةٍ، وخرجنا بدراساتِ حالةٍ نوردها في الفقراتِ التاليةِ.

جمعيةُ أصدقاءِ الموسيقى - كورالُ أرجوان

تأسّست الجمعيةُ عامَ 2015 في مدينةِ طرطوس، وتركّز على إدخالِ الموسيقى إلى ثقافةِ المجتمعِ وحياتِه عبرَ الكورالِ وتكريسِ ثقافةِ الغناءِ الجماعيِّ، ونشرِ التراثِ الموسيقيِّ الشرقيِّ والغربيِّ بأسلوبٍ متجدّدٍ، بالإضافةِ إلى تأمينِ فرصِ التدرّبِ والأداءِ بشكلٍ شبهِ مجانيٍّ لجميعِ شرائحِ المجتمعِ (الأطفالِ - اليافعينَ - البالغينَ - السيداتِ) من مختلفِ البيئاتِ الاجتماعيةِ ومن الأسَرِ محدودةِ الدخلِ دونَ أيِّ تمييزٍ. كما تقدّم الجمعيةُ حفلاتٍ غنائيةً في الهواءِ الطلقِ في المناطقِ المهمّشةِ من المدينةِ، وفي الشوارعِ والساحاتِ والحدائقِ العامةِ.

تُقيّمُ الجمعيةُ أثرَ عملِها بوصفهِ تراكمياً وعميقًا أكثرَ منه سريعًا أو استعراضيًا، وتصفه بأنه أثرٌ نوعيٌّ ومستدامٌ في بيئةٍ تعاني من هشاشةٍ اجتماعيةٍ وضغوطٍ طويلةِ الأمدِ. فقد أسّست جمعيةُ أصدقاءِ الموسيقى وكورالُ أرغوان وسيداتُ النغمِ مساحاتٍ ثقافيةٍ آمنةٍ، جمعت أفرادًا وعائلاتٍ من خلفياتٍ اجتماعيةٍ ودينيةٍ ومهنيةٍ وعمريةٍ متنوّعةٍ حول ممارسةٍ فنيةٍ جماعيةٍ قائمةٍ على الإصغاء والانضباط والعملِ الجماعيِّ المشتركِ. وتبدو نتائجُ عملِها واضحةً للعيانِ ضمن المجتمعِ، نتيجةَ التعاملِ مع الموسيقى ليس بوصفها نشاطًا ترفيهيًا، بل كأداةٍ لبناءِ الثقةِ والانتماءِ، ولتعزيزِ قيمِ التعاونِ والاحترامِ المتبادلِ، وبثِّ رسائلَ السلامِ والتآخي، واستطاع الفريقُ عبر الغناءِ الكوراليِّ بطبيعته التشاركية، أن يتيح لأفرادِ المجتمعِ اختبار معنى الجماعةِ خارجَ أيِّ انتماءاتٍ ضيّقةٍ، الأمرُ الذي انعكس على علاقاتهم في مجتمعهم الموسيقي الكورالي وخارجِه نحو المجتمع المحيطِ.

وتشيرُ الجمعيةُ إلى أنَّ هذا الأثرَ لم يكن متوقعًا بهذا العمقِ. ففي البدايةِ كان الطموحُ تحقيقَ أثرٍ فنيٍّ وثقافيٍّ وجماليٍّ داخل مجتمع مهمّشٍ ثقافيًا وجماليًا بسبب بعده عن المركزِ (العاصمة)، لكنهم لمسوا مع الوقت أن الأثرَ الإنساني والاجتماعي كانَ أوسعَ وأبقى، وأن الموسيقى أعادت بناءَ جسورِ ثقةٍ وتواصلٍ في مجتمعٍ أنهكته سنواتٌ طويلةٌ من الانقساماتِ والضغوطِ.

واجَهَتِ الجمعيةُ تحدياتٍ مركّبةً، في مقدمتها محدوديةُ الموارِدِ الماليةِ، وضعفُ البنيةِ التحتيةِ الثقافيةِ، وغيابُ الدعمِ المؤسسيِّ المستقرِّ، والابتعادُ شبهُ الكاملِ للمنظّماتِ الدوليَّة والأمميَّةِ عن الدعمِ الثقافيِّ والفنيِّ والمعرفيِّ، إضافةً إلى الإرهاقِ النفسيِّ العامِّ الذي يعانيهِ المجتمعُ السوريُّ. كما واجهت صعوبةً في الدفاع عن قيمةِ العملِ الفني الجادِّ في ظلِّ هيمنةِ أنماطٍ ثقافيةٍ سطحيةٍ لكنّها تحظى بدعمٍ إعلاميٍّ أكبر عمومًا. وتعاملت مع هذه التحديات عبر بناء رأس مالٍ إنسانيٍّ قويٍّ من خلال الموسيقى والغناء، وخلالَ الشفافيةِ والصدقِ وبناء الثقةِ داخل الفريق، والتمسّكِ بجودةِ العملِ حتى في أصعب الظروف. كما اعتمدت الجمعيةُ على الشراكات القليلة المتواجدة، وعلى العمل التطوعي المنظّم، والتعلّمَ والتدريبَ المستمرّين، وعلى تطوير خطابٍ ثقافيٍّ يربط الفنَّ بالقيمِ المجتمعيةِ لا بالترف أو الترفيه فقط.

"تعلّمنا أن الاستمرارية بحد ذاتها فعل مقاومة ثقافية، وأن البقاء معاً والعمل بهدوء كان أحد أكبر إنجازاتنا. كانت الاستمرارية بحد ذاتها إنجازاً ثقافياً وجمالياً وإنسانياً في سياق هش".

في المرحلة المقبلةِ تطمح الجمعيةُ إلى:

- توسيعِ المشاريعِ التي تعيدُ قراءةَ التراثِ الموسيقيِّ السوريِّ ضمنَ مقارباتٍ معاصرةٍ، تحافظُ على الذاكرةِ وتربطُها بالحاضرِ وتعيدُ تقديمَها للأجيالِ الجديدةِ.
- تعزيزِ الشراكاتِ الإقليميَّةِ والدوليَّةِ، خُصوصًا في فَضاءِ المتوسِّطِ، بوصفه فضاءً ثقافيًا مشتركًا للحوارِ والتبادلِ.
  الانتقالِ من مبادراتٍ فرديَّةٍ إلى نموذجِ عملٍ قابلٍ للتكرارِ والاستدامةِ في مناطقَ أخرى.
- توسيعِ العمل ليشمل الريفَ والبلدات البعيدةَ.
- توسيعِ المقر ليصبح مركزًا فنيًا ثقافيًا مجتمعيًا تربويًا، يستقطب جميع الأفرادِ والعائلاتِ في المجتمع، ضمن غياب
- شبه كامل للثقافة والفن عن مخطّطات وسياسات الدولة.

مَركَزُ مارونا

جمعيةٌ تأسّست سنةَ 2018 في محافظةِ إدلبَ، ويتركّز مجالُ عملِهم على بناءِ السلامِ والتماسكِ المجتمعيِّ باستخدامِ مواردِ المجتمعِ المحليِّ من تراثٍ ماديٍّ ولا ماديٍّ. لدى مارونا مركزٌ اجتماعيٌّ بمدينةِ إدلبَ ويعملون مع مختلفِ فئاتِ المجتمعِ وبشكلٍ أساسيٍّ تستهدفُ برامجُهم النساءَ المتأثراتِ بالحربِ والناجياتِ من الاعتقالِ والنازحينَ وكبارِ السنِّ والأطفالِ. من برامجِهم نذكر: بصمةُ بلدٍ، عبايتكِ حكايتكِ، فزعةٌ، صديقاتُ الورقِ، هوبْ هوب سوريا، لمةُ أهلٍ، رميةُ ختياريةٍ، أبو عادلِ الحكواتي ومسرحُ نسرين. وهي مبادراتٌ تهدفُ إلى تعزيزِ التماسكِ المجتمعيِّ وتعزيزِ العافيةِ النفسيةِ بهدفِ العملِ على إدارةِ الصراعِ والتعاملِ مع العنفِ الناجمِ عن الصراعِ.

منذ بدايةِ عملِهم، لاحظَ فريقُ مارونا تطورًا لدى الشريحةِ المستهدفة على المستوى الاصطلاحيِّ، فأصبحَ الناسُ يفرقون بين مصطلحِ نازحٍ ومهجرٍ على سبيلِ المثالِ، كما عملوا ومنذ بدايةِ تأسيسِهم مع النساءِ على بناءِ هوياتٍ أشملَ من الهوياتِ الفرعيةِ والتصنيفاتِ المنتشرةِ مؤخرًا، ونجحوا بتمكينِ النساءِ من تشكيلِ علاقاتٍ متنوعةٍ تعيدُ تعريفَ الهويةِ. وهنا يخصّونَ بالذكرِ مبادرةَ "خبز وملح" التي يتجاوزُ هدفُها الاحتفاءَ بالأطباقِ الشعبيةِ إلى مساعدةِ العائلاتِ بالتعريفِ عن نفسها بشكلٍ يليقُ بها وتراثِها وتاريخِها، وساعدت بتشكيلِ أرضيةٍ متينةٍ بعد التحريرِ سهلت التواصلَ مع مدنٍ ومجتمعاتٍ وعائلاتٍ كانت منقطعةً عن بعضها لسنواتٍ، واعتمدوا على مواردَ من المجتمعِ من خلالِ استخدامِ عناصرٍ من التراثِ اللاماديِّ كالأكلِ والملابسِ والأغاني كوسيلةٍ للاحتفاءِ والتواصلِ.

″يمكنُ القولُ أننا وبظلِّ الانقساماتِ الكبيرةِ بالمجتمعِ السوريِّ استطعنا تشكيلَ أرضيةِ تواصلٍ بينَ الناسِ، ولو كان التأثيرُ محدودًا ولكنه مهمٌّ وضروريٌّ″.

من تحدياتِ عملِ مركزِ مارونا: ظروفُ القهرِ التي عاشها الناسُ والتي تسبّبت بكثيرٍ من الانقساماتِ في المجتمعِ السوريِّ، والوضعُ الاقتصاديُّ السيّئُ، وفقدانُ الكثيرِ من الموادِّ والمصادرِ نتيجةَ الحربِ والنزوحِ مما غيّر أولوياتَ الناسِ للتركيزِ على البقاءِ، إلى جانبِ اندثارِ الكثيرِ من عناصرِ التراثِ الماديِّ واللاماديِّ في إدلبَ.

″عملنا على التطريزِ من خلال مشروعِ ″عبايتكِ حكايتكِ″ ولكن بسبب نقصِ الخبرةِ وانقطاعِ سلسةِ التعليمِ ما بين الجدّاتِ والأبناءِ واجهنا صعوبةً في الحفاظِ على الخبراتِ المساعدةِ لاستكمالِ المشروعِ وتوسيعهِ″.

سيكملُ الفريقُ مستقبلاً بنفس النهجِ باستخدامِ أدواتِ التراثِ اللاماديِّ لحفظِ الذاكرةِ والهويةِ، ولديهم العديدُ من المبادراتِ التي يودّون العملَ عليها مستقبلاً، ومنها حفظُ أغاني الجدّاتِ وهي مبادرةٌ ستتضمن دعوةَ مجموعةٍ من السيداتِ لغناءِ الأغاني بشكلٍ جماعيٍّ وتعليمِها للفتياتِ الأصغرِ عمرًا، وتحضيرُ المأكولاتِ الشعبيةِ ضمن مركزِ مارونا. كما يرغبون بالتركيزِ على التراثِ الماديِّ من خلالِ حفظِ المقاماتِ والقبورِ والذاكرةِ وتوثيقِ المناطقِ.

نادي سينما جرمانا

مبادرةٌ تطوّعيةٌ مجّانيةٌ تأسّست سنةَ 2019 في مدينةِ جرمانا بمحافظةِ ريفِ دمشقَ بهدفِ خلقِ فسحةٍ ثقافيةٍ مفتوحةٍ للجميعِ. انطلقت المجموعةُ من فكرةٍ أنَّ الإنسانَ يشتركُ مع بقيةِ شركائهِ على هذا الكوكبِ بالكثيرِ من مشكلاتهِ وهمومهِ وتحدياتهِ وصراعاتهِ الداخليةِ والخارجيةِ، وأنَّ السينما تستطيعُ تعزيزَ فكرةِ الشراكةِ هذه عبرَ أفلامٍ تعرضُ وتعالجُ قضايا سياسيةٍ واجتماعيةٍ وعلميةٍ وفنيةٍ وإنسانيةٍ من بلدانٍ مختلفةٍ ومن ثقافاتٍ متنوعةٍ، بالإضافةِ إلى الجانبِ الجماليِّ والترفيهيِّ الذي تقدمهُ. تقوم الجمعيةُ بعرضِ فيلمٍ مساءَ كلِّ يومِ سبتٍ في جرمانا، تتبعهُ جلسةُ نقاشٍ حولَ الفيلمِ. تعمل على تقديمِ تظاهراتٍ سينمائيةٍ من مختلفِ البلدانِ بالإضافةِ إلى استضافةِ العديدِ من الفنانينَ بلقاءاتٍ مفتوحةٍ مع الجمهورِ.

وفق القائمينَ على النادي، فقد كان له أثرٌ واضحٌ في المجتمعِ المحليِّ لمدينةِ جرمانا، إذ شكّل فسحةً ثقافيةً مجّانيةً لبناتِ وأبناءِ المدينةِ، ومساحةَ لقاءٍ وحوارٍ حرٍّ حولَ قضايا سوريةٍ راهنةٍ، من خلالِ برمجةِ عروضِ أفلامٍ (سوريةٍ وعربيةٍ وأجنبيةٍ) تتناولُ مواضيعَ تهمُّ السوريين/ات في السنواتِ السابقةِ لسقوطِ نظامِ الأسدِ، وفي السنةِ الماضيةِ مع السلطةِ الانتقاليةِ الحاليةِ. ويستدلّون على وضوحِ هذا الأثرِ باستمرارِ نشاطِ النادي أسبوعيًا، واستمرارِ حضورِ الجمهورِ وتفاعلهِ مع جميعِ العروضِ، وتقديمِ دعمٍ عينيٍّ ومعنويٍّ في بعضِ الأحيانِ.

خلال السنواتِ الثمانيةِ الماضيةِ، استمرَّ نادي سينما جرمانا بتقديمِ عروضٍ أسبوعيةٍ، بلغ عددُها (حتى مطلعِ 2026) 300 فيلمًا من 76 بلدًا. واستضافَ خلالَ جلساتِ النقاشِ عشراتِ الفنانينَ، منهم: المخرجُ محمد ملص، الكاتبُ ممدوح عزام، الكاتبُ خالد خليفة، الفنانُ يوسف عبدلكي، المخرجُ إياس المقداد، المخرجُ غياث أيوب، المخرجُ فانسان كوماريه، الكاتبُ والمخرجُ المسرحيُّ علاء الدين العالم، المخرجُ غياث المحيثاوي، المخرجُ والممثلُ ينال منصور، المخرجُ غطفان غنوم، الممثلةُ سمر سامي، الممثلةُ حنان شقير، الممثلةُ مريم علي، الممثلُ محمد آل رشي، الفنانةُ كاترين استراد.

كما نظّم النادي العديدَ من النشاطاتِ بالتعاونِ مع جمعياتٍ ومبادراتٍ أخرى في المدينةِ، منها:

1- قراءاتٌ مسرحيةٌ بعنوانِ "ما زالوا يسكنوننا" عن قضيةِ المختفينَ والمغيّبينَ قسراً، بالتعاونِ مع محترفِ جمرِ المسرحيِّ. أخرجت العرضَ الفنانةُ حنان شقير، وكان بمشاركةِ مغنيةِ الأوبرا نعمى عمران، والممثلينَ رغدةَ الخطيب، رنا كرم، فرح الدبيات، ومجدي المقبل.

2- زراعةُ أشجارٍ تخليدًا لذكرى مخطوفي مركزِ توثيقِ الانتهاكاتِ في دوما (رزان زيتونة، سميرة الخليل، ناظم حمادي ووائل حمادة) في الحديقةِ البيئيةِ في جرمانا، بالتعاونِ مع جمعيةِ روّادِ البيئةِ.

3- تنظيمُ عروضٍ خاصةٍ للأطفالِ واليافعينَ وطلابِ المدارسِ، بالتعاونِ مع فريقِ زيتونة التطوّعيِّ.

أهمُّ التحدياتِ التي واجهت نادي سينما جرمانا:

- عدمُ وجودِ مقرٍّ خاصٍّ بالنادي: فاعتمدوا في السنواتِ السابقةِ على التعاونِ مع مراكزَ تستضيفُ مجانًا عروضَ النادي (ملتقى حكايا، مركزُ آفاق، كافيه ولاد البلد، قاعةُ سيبار) الأمرُ الذي جعلهم يضطرون عدةَ مرّاتٍ للتوقفِ لفترةٍ قصيرةٍ إلى حينِ تأمينِ مكانِ استضافةٍ جديدٍ. ويعملون في الفترةِ القادمةِ على تأمينِ تمويلٍ لتجهيزِ مقرٍّ خاصٍّ بالنادي.
- عدمُ امتلاكِ تجهيزاتِ عرضٍ: لعدةِ سنواتٍ كان النادي يؤمنُ التجهيزاتِ اللازمةَ للعرضِ (بروجكتر، سبيكر، شاشة، لابتوب، كراسي، مستلزماتِ ضيافة، الخ) بالاستعارةِ من أعضاءِ النادي وأصدقائهِ وتبرّعاتِهم.
- الانقطاعُ المستمرُّ للتيارِ الكهربائيِّ: فيتم الاعتمادُ على شراءِ بطاريةٍ وإنفيرتر، أو الاستعانةِ بمولّدةٍ كهربائيةٍ.
- عدمُ قدرةِ أعضاءِ الفريقِ على الالتزامِ بالعملِ التطوّعيِّ غيرِ المأجورِ لمدةٍ زمنيةٍ طويلةٍ: بما أنَّ النادي يعمل بشكلٍ تطوّعيٍّ للسنةِ الثامنةِ على التوالي، ويلتزم بتنظيمِ عرضٍ واحدٍ على الأقلِّ كلَّ أسبوعٍ، يضطرُّ الكثيرُ من أعضاءِ النادي ومتطوّعيهِ للتغيّبِ أو عدمِ الحضورِ والمشاركةِ بين فترةٍ وأخرى، ويحاولون في الفترةِ القادمةِ تأمينَ دعمٍ ماديٍّ يمكنُ أن تدفعَ منهُ أجورًا لفريقِ العملِ.
- عدمُ امتلاكِ فريقٍ إعلاميٍّ مختصٍّ لتصميمِ إعلاناتِ النشاطاتِ وإدارةِ منصّاتِ التواصلِ الاجتماعيِّ.
- تحدّياتٌ أمنيةٌ، وشعورُ شرائحَ من أبناءِ المجتمعِ المحليِّ بعدمِ الأمانِ.

في الفترةِ المقبلةِ، سيعمل النادي على تأمينِ وتجهيزِ مقرٍّ خاصٍّ ليكون بمثابةِ مساحةٍ ثقافيةٍ مستقلةٍ ومتاحةٍ للجميعِ في مدينةِ جرمانا، يشكّل فسحةً مفتوحةً للمهتمّينَ من فنانينَ ومثقفينَ وطلابٍ وأطفالٍ، ويتيح لجميعِ شرائحِ المجتمعِ المشاركةَ في النشاطاتِ السينمائيةِ والثقافيةِ بشكلٍ دوريٍّ، مع التركيزِ على طرحِ ومناقشةِ القضايا الإنسانيةِ والاجتماعيةِ والسياسيةِ والبيئيةِ التي تهمُّ المواطنينَ/ات السوريين/ات في المرحلةِ الراهنةِ. ولا يغفل عن تقديمِ الجوانبِ الترفيهيةِ في برمجةِ نشاطاتهِ السينمائيةِ والفنيةِ.

وسينظِّمُ النادي عروضَ أفلامٍ بشكلٍ أسبوعيٍّ، وتظاهراتٍ عن السينما السوريةِ والفلسطينيةِ والعربيةِ، وعن سينما البيئةِ وسينما المرأةِ، وتظاهراتٍ خاصةٍ بالأطفالِ واليافعينَ. كما ستكون المساحةُ متاحةً كمكانِ عملٍ وتدريبٍ لأصدقاءِ النادي والطلابِ والمهتمينَ، وستضمُّ مكتبةً فيها مراجعُ سينمائيةٍ وفنيةٍ وأدبيةٍ متاحةٍ للمطالعةِ من قبلِ أصدقاءِ النادي والمهتمينَ. كما سيعمل على بناءِ فريقِ عملٍ ثقافيٍّ من بناتٍ وأبناءِ المدينةِ قادرٍ على تنظيمِ نشاطاتٍ سينمائيةٍ وثقافيةٍ وفنيةٍ مستدامةٍ.

منظّمةُ بالون

منظمةُ مجتمعِ مدنيٍّ غيرِ حكوميةٍ وغيرِ ربحيةٍ تأسّست عام 2019 في مدينةِ الرقةَ، تعملُ على جلبِ المرحِ والصمودِ والسعادةِ لأرواحِ الأطفالِ والشبابِ في مناطقِ الصراعِ وخلقِ مساحاتٍ آمنةٍ للمجتمعاتِ للتعلّمِ والنموِّ والتغلّبِ على صدماتِ الصراعِ وتعزيزِ القدراتِ الاقتصاديةِ في المجتمعاتِ الناميةِ. تركزُ "بالون" على خمسِ برامجَ أساسيةٍ وهي الحمايةُ، والتماسكُ المجتمعيُّ، والحشدُ والمناصرةُ، والتوعيةُ والتعليمُ غيرُ الرسميِّ.

يقيمُ القائمونَ على "بالون" أثرَ عملهم بشكلٍ إيجابيٍّ ومتدرّجٍ انعكس بشكلٍ مباشرٍ على تعزيزِ مساحاتِ حوارٍ وإعادةِ بناءِ الثقةِ بينَ مكوناتِ المجتمعِ المحليِّ، خصوصًا ضمنَ سياقِ مدينةِ الرقةِ التي عانت بشدّةٍ من النزاعِ والانقسامِ لفتراتٍ طويلةٍ، إذ ساهمتِ الأنشطةُ الثقافيةُ والفنيةُ باستعادةِ الفضاءِ العامِّ كمساحةٍ جامعةٍ، وأتاحت للأفرادِ المستهدفينَ من الشبابِ والأطفالِ التعبيرَ عن ذواتهم بوسائلَ لا عنفيةٍ وبطرقٍ غيرِ تقليديةٍ، مما عزّز شعورَهم بالانتماءِ والمسؤوليةِ المشتركةِ.

ويرونَ بأنَّ الاعتمادَ على مقاربةٍ تشاركيةٍ انطلقت من احتياجاتِ المجتمعِ نفسه ساهمت بتحقيقِ هذا الأثرِ، بالإضافةِ إلى استخدامِ الثقافةِ والفنونِ كأدواتٍ فاعلةٍ للشفاءِ النفسيِّ وبناءِ الجسورِ بينَ الأفرادِ.

″الأثرُ كان قريبًا من المتوقعِ ولكن مع ملاحظةِ التحولاتِ المجتمعيةِ العميقةِ، فإننا نحتاج لوقتٍ طويلٍ واستدامةٍ في العملِ لتحقيقِ الأثرِ المرجوِّ″.

واجهتِ المنظمةُ الكثيرَ من التحدياتِ على رأسها هشاشةُ السياقِ المجتمعيِّ الناتجةُ عن سنواتِ الصراعِ، إذ توالت على الرقةِ سلطاتُ أمرٍ واقعٍ عديدةٌ ساهمت بتشويهِ هويةِ المدينةِ، رافق هذا الواقعُ فقدانُ الثقةِ والخوفُ من المبادراتِ الجديدةِ، ومحدوديةُ الموارِدِ الماليةِ والمشاريعِ مقارنةً بحجمِ الاحتياجِ، بالإضافةِ للتحدياتِ الأمنيةِ والإداريةِ بسببِ القيودِ الخانقةِ التي فرضتها قواتُ سوريا الديمقراطيةِ على المبادراتِ وعملت على طمسِ الهويةِ.

وتمَّ التعاملُ مع التحدياتِ من خلالِ بناءِ علاقاتِ ثقةٍ طويلةِ الأمدِ مع المجتمعِ المحليِّ والفاعلينَ والمؤثرينَ. فاستثمرتِ المنظمةُ ببناءِ قدراتِ الكوادرِ المحليةِ والشبابِ لضمانِ استمراريةِ العملِ وتقليلِ الاعتمادِ على الدعمِ الخارجيِّ، واعتمدت على التكيفِ والمرونةِ بتصميمِ وتنفيذِ الأنشطةِ بما يتلاءم مع السياقِ والواقعِ المتغيرِ.

تطمحُ "بالون" في المرحلةِ القادمةِ للعملِ على تعميقِ الأثرِ النوعيِّ بدلَ الكميِّ، من خلالِ تطويرِ برامجَ ثقافيةٍ وفنيةٍ مستدامة مرتبطةٍ بالهويةِ المحليةِ والذاكرةِ الجماعيةِ، وتوسيعِ الشراكاتِ مع مؤسساتٍ ثقافيةٍ تعليميةٍ، وتعزيزِ دورِ الشبابِ كقادةٍ محليينَ بمجالِ العملِ الثقافيِّ والتماسكِ المجتمعيِّ، والعملِ على توثيقِ التجربةِ وقياسِ الأثرِ بشكلٍ منهجيٍّ لاستقطابِ دعمٍ طويلِ الأمدِ.

مؤسّسةُ أركان للتنميةِ

تأسست عام 2021 في محافظةِ درعا، ويتركّزُ عملُهم على التنميةِ في المجتمعاتِ الريفيةِ وعلى برامج تخدمُ هدفَ التماسكِ المجتمعيِّ، من خلالِ برامجَ حواريةٍ مع مختلفِ فئاتِ المجتمعِ وبين محافظتي درعا والسويداءَ، وبرامجَ تعليميةٍ للشبابِ واليافعينَ، وإحياءِ التراثِ المشتركِ مع محافظةِ السويداءِ وتوثيقِ التراثِ الشفويِّ للمحافظتينِ مع مخرجاتٍ وإنتاجاتٍ فنيةٍ ذاتِ صلةٍ بهذه المواضيعِ، والتركيزِ على العدالةِ المكانيةِ.

كان لمبادراتِ أركان صدى إيجابيٌّ جدًا كما يقولُ القائمونَ عليها، فالناسُ صاروا يدركون أكثرَ على المستوى المحليِّ قيمةَ الموروثِ الشعبيِّ والتراثِ الماديِّ واللاماديِّ الموجودِ في المنطقةِ، وصار هناك أشخاصٌ من قرى أخرى يطلبون استثمارَ الموارِدِ الثقافيةِ والتراثيةِ في مناطقهم، وتكرارُ تجربةِ أركان لديهم.

أما على مستوى مشاريعَ التماسكِ بين درعا والسويداءَ والعملِ الذي نفذته أركان بين عامي 2023 و2024، فقد كانت المؤسسةُ قادرةً على خلقِ علاقاتٍ حقيقيةٍ وجزءٌ منها بقي مستدامًا حتى بعد الأحداثِ الأخيرةِ في السويداءِ، وقد بقيت بالفعل العلاقةُ الطيبةُ بين العديدِ من الأشخاصِ بين درعا والسويداءَ، وكانوا قادرين على عدمِ التعميمِ على مجموعةٍ كاملةٍ بسبب أخطاءِ أفرادٍ معينينَ، وهو أمرٌ يعتبر بمثابةِ إنجازٍ كبيرٍ ضمنَ سياقٍ حساسٍ كالذي تعملُ ضمنه أركان.
″ضمنَ محطاتٍ معينةٍ كان أثرُ عملنا أكبرَ من المتوقعِ″.

من التحدياتِ التي تواجهها أركان، الإطارُ القانونيُّ، والتحدي الأمنيُّ للعملِ على أمورٍ لها علاقةٌ بالتنميةِ والتماسكِ المجتمعيِّ في المنطقةِ الجنوبيةِ، وذلك قبل سقوطِ نظامِ الأسد، إذ كانت المؤسسةُ تضطرًّ للعملِ بالسرٍّ، أو عن طريقِ شراكاتٍ، أو ضمنَ مناطقٍ لا يوجدُ فيها حضورٌ أمنيٌّ أو رسميٌّ. أما بعد سقوطِ نظامِ الأسدِ فقد اختلفت المعطياتُ على هذا الصعيدِ، وتمَّ ترخيصُ أركان كمؤسسةٍ باتت قادرةً على توسيعِ عملها بطريقةٍ مختلفةٍ.

ومن التحدياتِ أيضًا الصورُ النمطيةُ الموجودةُ بأذهانِ الناسِ، سواءً بين أهالي الريفِ وأهالي المدينةِ، أو بين أهلِ درعا وأهلِ السويداءِ، وحتى الصورُ النمطيةُ للعملِ في الريفِ عمومًا. ومن خلالِ مبادراتٍ مثل "أم الغيث" و"بساط الجنوب" تغيّرت الكثيرُ من هذه الأفكارِ نحو الأفضلِ، رغم أن الأحداثَ التي حصلت بعدَ سقوطِ النظامِ أعادت تغييرَ وقلبَ الكثيرِ من الموازينِ.

لدى أركان اليوم وبعد الترخيصِ كمؤسسةٍ تابعةٍ لوزارةِ الشؤونِ الاجتماعيةِ والعملِ، خطةٌ بالتوسعِ نحو قرى جديدةٍ سواءً في درعا أو بقيةِ المحافظاتِ، وذلك ضمن نموذج تنمويٍّ يعمل على ثلاثِ محاورَ أساسيةٍ متعلقةٍ بالهويةِ العمرانيةِ والهويةِ التنمويةِ والرياديةِ للمكانِ والهويةِ المهاراتيةِ لأصحابِ المكانِ، لدعمِ من يريدون العملَ على مشاريعَ رياديةٍ أو مبادراتٍ مجتمعيةٍ باستثمارِ المواردِ الموجودةِ ضمنَ المجتمعِ المحليٍّ.

ويأملُ فريقُ أركان بأنْ يصبحَ عملُهُم نموذَجاً يُحتَذى بهِ لدى مجموعاتٍ في مناطقَ أُخرى.

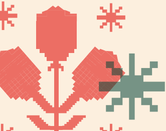

12 توصِياتٌ

في هـذه الفقـرة نـوردُ مجموعـةً مـن التوصيـاتِ التـي خرجنـا بهـا مـن الاسـتبيانِ والزيـاراتِ الميدانيـةِ وتقاطعهـا مـع تحليـلِ السـياقِ والإجابـاتِ. بعـضُ هـذه التوصيـاتِ وردت مـن المشـاركينَ/ات أنفسـهم، وأخـرى هـي توصيـاتٌ عامـةٌ مـن الفريـقِ البحثيِّ ومن مؤسسةِ "العملِ للأملِ".

توصياتُ المشاركينَ للعملِ مع المجتّمعاتِ المهمشةِ

طلبنـا مـن المشـاركين في الاسـتبيانِ طـرحَ مجموعـةٍ مـن التوصيـاتِ للعمـلِ مـع المجتمعـاتِ المهمشـةِ عـلى مختلـفِ الأصعـدةِ، وذلك حسب خبراتهم المتراكمةِ، وكانت الإجاباتُ على النحوِ التالي:

- العمـلُ مـع المجتمعـاتِ نفسـها لمعرفـةِ عناصرهـا التراثيـةِ الأكـثرِ أهميـةً وتوثيقهـا، والبرامـج الأكـثر مواءمـةً لسـياقاتها المحليـةِ المختلفـةِ سـواءٌ كانـت عـروضَ سـينما أو أغنيـاتٍ أو غيرهـا، وربـطُ العمـلِ الثقـافيِّ بالقضايـا التـي تهـمُّ هـذه المجتمعـاتِ، وتدريـبُ أبنـاءِ المجتمـعِ أنفسـهم عـلى توثيـقِ تراثهـم وجمعـه وحمايتـه. يتحـدثُ كامـلُ عـوضٍ مـن "ملتقـى هارمـوني الثقـافي": "يجـب تصميـمُ مشـاريعَ ثقافيـةٍ تشـاركيةٍ حقيقيـةٍ لا تقتـصر عـلى عـروضٍ أو لقـاءاتٍ، بـل تُـشركُ الأهـالي في التخطيـطِ والتنفيـذِ ليشـعروا بملكيـةِ المـشروعِ وتأثـيره المبـاشرِ". كذلـك تشـيرُ سـفانةُ بقلـةٍ مـن "كـورال غاردينيـا": "العمـلُ الثقـافيُّ يجـب أن يكـون حساسًـا للسـياقِ، مرتبطًـا بقضايـا المنطقـةِ، وبخدمـاتٍ وأهـدافٍ أبعـد مـن الثقافـةِ، كالدعـمِ النفـسيِّ، والخدماتِ الأخرى".
- التركيـزُ عـلى إحيـاءِ الحـرفِ اليدويـةِ المهـددةِ بالاندثـارِ لأنهـا ترتبـط بشـكلٍ مبـاشرٍ بهويـةِ المجتمعـاتِ المحليـةِ وثقافاتهـا، وبالتالي فإن العملَ عليها يساهمُ في إعادةِ الاعتبارِ والأهميةِ لهذه المجتمعاتِ ولأهلها وإن كان إلى حدٍّ معينٍ.
- توفـيرُ مسـاحاتٍ ثقافيـةٍ وإبداعيـةٍ وآمنـةٍ للجميـع، وإعـادةُ تفعيـلِ المراكـزِ الثقافيـةِ والمسـارحِ والمتاحـفِ ليـس فقـط في مراكـزِ المـدنِ الكبـيرةِ وإنمـا في كلِّ المناطـقِ، وحتـى الاسـتفادةِ مـن مقـراتٍ مهجـورةٍ (مثـلَ مقـراتِ حـزبِ البعـثِ سـابقًا) لتكـون مسـاحاتٍ ثقافيـةٍ واجتماعيـةٍ، وهـو أمـرٌ حصـل بالفعـل في العديـد مـن المناطـقِ بعـد سـقوطِ نظـامِ الأسـدِ. تقـترحُ ثريـا حجـازي مـن منظمـةِ "مسـاراتٍ إبداليـة": تنفيـذَ "أنشـطةٍ لاسـتعادةِ الفضـاءِ العـامِّ المحـليِّ مطـوّرةٍ مـن وجهـةِ نظـرِ المجتمعاتِ باستخدامِ الفنِّ كأن تكون المسرحيةُ مثلا في بهو جامعةٍ".
- العمـلُ عـلى موضوعـاتِ الـتراثِ المشـتركِ والذاكـرةِ المشـتركةِ بـينَ المناطـقِ السـوريةِ كافـةً في محاولـةٍ لـرأبِ الصـدعِ الـذي خلقـه خطـابُ الكراهيـةِ والتعصـبِ بعـد سـنواتِ الحـربِ والنـزاعِ، والتركيـزُ عـلى الأنشـطةِ العابـرةِ للهويـةِ والتـي تجمـع بـين عـدةِ هويـاتٍ سـوريةٍ منطقيـةٍ قوميـةٍ طائفيـةٍ باسـتخدامِ الفـنِّ، وكذلـك عـلى الفنـونِ التشـاركيةِ مثـل الحـكي والتوثيـقِ الشفويِّ والدراما العلاجية.
- ضرورةُ معرفـةِ المـواردِ الموجـودةِ في كلِّ مجتمـعٍ واسـتثمارها في العمـلِ الثقـافيِّ والمـدنيِّ وإعـادةِ بنـاءِ الصـلاتِ بـينَ المجتمعـاتِ وتطويرها وتنميتها.
- دعـمُ الفعاليـاتِ الثقافيـةِ عـلى اختـلافِ أشـكالها (مثـلَ المهرجانـاتِ والمعـارضِ والـورشِ الفنيـةِ والثقافيـة...) ودمـجُ التعليـمِ الثقـافيِّ مـع الترفيـهِ (مثـلَ المـسرح التفاعـليِّ والموسـيقى والرسـمِ والغنـاء وغيرهـا)، خاصـةً عنـد الحديـثِ عـن الفعاليـاتِ التـي تركـز عـلى توثيـقِ الثقافـةِ المحليـةِ وتعـزز الهويـةَ الثقافيـةَ وتحفـظ إرثَ المجتمعـاتِ وترفـع الوعـيَ حـول مفاهيـمَ الثقافةِ والهويةِ والتماسكِ المجتمعيِّ.
- دعـمُ الفنانـينَ والمبدعـينَ خاصـةً مـن جيـلِ الشـبابِ، ومـن النسـاءِ، وتقويـةُ مهاراتهـم في مختلـفِ الجوانـبِ، سـواء تلـك المرتبطـة مبـاشرةً بالعمـلِ الثقـافيِّ أو لا، مـما يعـزز إمكانياتهـم للعمـلِ والمشـاركةِ المجتمعيـةِ والثقافيـةِ، ودمـجُ الأجيـالِ المختلفةِ بفتحِ مساحاتٍ مشتركةٍ بينَ الشبابِ وكبارِ السنِّ لتبادلِ الخبراتِ ونقلِ الذاكرةِ الثقافيةِ وردم الهوةِ المعرفيةِ.
- الربـط بـين الثقافـة والاقتصـاد، ودعـم المشـاريع الصغـيرة ومتناهيـة الصغـر المرتبطـة بالجانـب الثقـافي الإبداعـي والهويـات المحلية.
- التعـاونُ الفعـالُ مـع الإعـلامِ لنـشرِ مفاهيـمَ العمـلِ المـدنيِّ والثقافـةِ المشـتركةِ والتماسـكِ المجتمعـيِّ وتعزيـزِ الوعـيِ وروحِ المصالحةِ، والتركيزُ على قصصِ النجاحِ، والاستفادةُ القصوى من المنصاتِ والوسائطِ الرقميةِ والتقنياتِ الحديثةِ.
- الربـطُ بـين الثقافـةِ والاقتصـادِ، ودعـمُ المشـاريعِ الصغـيرةِ ومتناهيـةِ الصغـرِ المرتبطـةِ بالجانـبِ الثقـافيِّ الإبداعـيِّ والهويـاتِ المحليةِ.
- التعـاونُ مـع مؤسسـاتٍ ثقافيـةٍ محليـةٍ ودوليـةٍ لتوفـيرِ الدعـمِ التقنـيِّ والتمويـليِّ، مـع الحفـاظِ عـلى قيـادةِ المجتمـعِ المحـليِّ للمشاريعِ.

إن تحليـلَ هـذه التوصيـاتِ يتطلـبُ تحليـلاً للسـياقاتِ المحليـةِ لـكلِّ منطقـةٍ، وفهـمَ موقـعِ واختصـاصِ كلِّ مبـادرةٍ، إذ ترتبـط التوصيـاتُ المقترحـةُ بشـكلٍ مبـاشرٍ بأنمـاطِ التهميـشِ التـي تعرَّضـتْ لهـا المجتمعـاتُ المسـتهدفةُ أو التـي تعمـلُ المبـادراتُ عـلى معالجتها.

توصياتٌ منَ المُشارِكينَ لِحمايةِ التُّراثِ

كما طلبنا من المشاركين والمشاركات إبداءَ آرائهم حول الأدوارِ التي يمكن أن يلعبها المجتمعُ المحليُّ في الحفاظِ على التراثِ وحمايتهِ والتركيزِ عليهِ كأحد مداخلِ العملِ على السلمِ الأهليِّ والتماسكِ المجتمعيِّ، وجاءت الإجاباتُ كالآتي:

- استخدامُ أدواتٍ واستراتيجياتٍ متنوعةٍ للحفاظِ على التراثِ اللاماديِّ بمختلفِ أشكالِه، يمكن أن نذكر منها:
  - استخدامُ وسائلِ التواصلِ الاجتماعيِّ والوسائطِ الرقميةِ لنشرِ القصصِ والصورِ والمعلوماتِ عن المواقعِ التراثيةِ والممارساتِ التقليديةِ، وإنشاءُ أرشيفاتٍ رقميةٍ خاصةٍ للتراثِ. يقولُ محمدُ المسالمةِ من درعا: "أفرادُ المجتمعِ يمكن أن يشاركوا في توثيقِ الصورِ والقصصِ والعاداتِ قبل أن تضيعَ، باستخدامِ الهواتفِ الذكيةِ أو وسائلَ التواصلِ".
  - تحويلُ التراثِ لممارسةٍ يوميةٍ وليس فقط لعناصرٍ يجب توثيقها، وذلك من خلال دمجهِ في التعليمِ والمدارسِ والسياحةِ ومختلفِ الأنشطةِ المجتمعيةِ، وتشجيعُ التعليمِ الثقافيِّ والفنيِّ المتخصصِ.
  - إحياءُ الحرفِ اليدويةِ عن طريقِ تسليطِ الضوءِ على أهميتها وتحويلها إلى مصدرِ دخلٍ، وإقامةُ دوراتٍ تدريبيةٍ عنها، ودعمُ تسويقِ منتجاتها، واستمرارُ توريثها خاصةً ضمنَ الأسرةِ الواحدةِ مما يضمنُ استمراريتها.
  - إقامةُ المهرجاناتِ والمعارضِ وغيرها من الفعالياتِ للتعريفِ بالتراثِ.
  - الاهتمامُ بحاملي التراثِ الشفويِّ وعلى رأسهم كبارُ السنِّ والنساءُ بوصفهم "حاملين للذاكرةِ"، ويضيفُ محمدُ
  - المسالمةِ من درعا بأن "كبارَ السنِّ يمتلكونَ كنزًا من القصصِ والعاداتِ — يمكن جمعها وتحويلها إلى موادَّ مكتوبةٍ أو رقميةٍ".
- لتركيزُ على دورِ الشبابِ في حملِ التراثِ ونقلهِ للعالمِ بصورةٍ معاصرةٍ ومبتكرةٍ من خلال:
  - تنظيمُ نشاطاتٍ ثقافيةٍ تعيدُ ربطَ الأجيالِ الشابةِ واليافعينَ واليافعاتِ بتراثها المحليِّ، وتشجيعُ الأجيالِ الشابةِ على معرفةِ التراثِ واحترامه.
  - نقلُ التراثِ والمعارفِ للأجيالِ الجديدةِ بطرقٍ معاصرةٍ تجمع بين الأصالةِ والابتكارِ لضمانِ استمرارهِ كعنصرٍ حيٍّ في الحياةِ اليوميةِ، من خلال تعليمِ الشبابِ الحرفَ التقليديةَ والأغاني والرقصات والطبخِ الشعبيِّ والأمثالِ القديمةِ، وتشجيعُ الأجدادِ والروادِ الثقافيينَ على مشاركةِ خبراتهم ومعرفتهم بالتراثِ مع الشبابِ والأطفالِ، سواء في المدارسِ أو العائلاتِ أو المجتمعاتِ المحليةِ.
  - دعمُ المبادراتِ الشبابيةِ الراميةِ للحفاظِ على التراثِ، وتشجيعُهم على المشاركةِ التطوعيةِ، وتمكينهم من الطرقِ الحديثةِ والعلميةِ لأرشفةِ التراثِ.
- تعزيزُ الهويةِ والتماسكِ المجتمعيِّ عبرَ التراثِ، وذلك من خلال:
  - استخدامِ التراثِ كجسرٍ بينَ المجتمعاتِ المختلفةِ داخلَ سوريا، خاصةً في المناطقِ التي شهدت نزوحًا وتنوعًا سكانياً، عن طريق رفعِ الوعي بقيمةِ التراثِ كحاملٍ للتنوعِ والقيمِ المشتركةِ وكجزءٍ من هويةِ المجتمعِ وليس كرموزٍ رسميةٍ فقط، والتركيزُ على القيمةِ الثقافيةِ الجامعةِ للناسِ لا التي تفرقهم، وبناءُ مشاريعَ ثقافيةٍ مشتركةٍ بينَ سكانٍ من خلفياتٍ متعددةٍ والتشبيكِ بين المناطقِ المختلفةِ.
  - إشراكُ الناسِ في حمايةِ تراثهم وتعريفِ ما يمثلهم من قيمٍ وعاداتٍ وتقاليدٍ تستحقُ الحمايةَ، مما يعيدُ الثقةَ والانتماءَ ويحوّلُ التراثَ إلى أداةٍ للمصالحةِ وإعادةِ بناءِ الهويةِ الوطنيةِ الجامعةِ.
  - توفيرُ مساحاتٍ اجتماعيةٍ للحوارِ وإحياءِ الممارساتِ الثقافيةِ.
  - الدفاعُ عن التراثِ أمام الفكرِ المتطرفِ والتغيرِ الاجتماعيِّ، من خلال حمايةِ الرموزِ المحليةِ من محاولاتِ الطمسِ أو الاستبدالِ بفكرٍ خارجيٍ.

✳ حمايةُ المعالِمِ التراثيَّةِ من خلالِ:

- ❃ دعمُ ومساندةُ أعمالِ الترميمِ والصيانةِ، من خلالِ التطوعِ أو جمعِ التبرعاتِ، أو بالتعاونِ مع المؤسساتِ المحليةِ والدوليةِ، ومع الباحثينَ المختصينَ، ودعمُ المبادراتِ التي تهدفُ إلى ترميمِ البيوتِ القديمةِ أو حمايةِ المواقعِ التراثيةِ باستخدامِ تقنياتَ تقليديةٍ، وتقديمُ الخبراتِ المحليةِ في هذا المجالِ.
- ❃ خلقُ شبكاتِ مراقبةٍ مجتمعيةٍ لحمايةِ التراثِ والتبليغِ عن أيٍ مخالفاتٍ وانتهاكاتٍ، وتحملُ مسؤوليةِ الحمايةِ والدفاعِ عبرَ المبادراتِ الأهليةِ والمجتمعيةِ التي تصونُ التراثَ وتمنعُ تشويههُ أو اندثارهُ.
- ❃ العملُ على إعادةِ الإعمارِ بطريقةٍ تحمي الهويةَ الأصليةَ للمدنِ والنسيجِ المجتمعيِّ.

✳ التعاونُ والعمَلُ معَ المؤَسَّسات:

- ❃ العملُ مع المؤسساتِ التعليميةِ والثقافيةِ على اختلافِها ومنها المدارسُ والمعاهدُ والمراكزُ الثقافيةُ، والتي تدعمُ برامجَ التوعيةِ والتعليمِ الثقافيِّ والفنيِّ وتركزُ على أهميةِ التراثِ وعلى نقلهِ والحفاظِ عليهِ، والتوجهُ ضمنَ ذلكَ لفئاتٍ مختلفةٍ خاصةً الأطفالِ والشبابِ وبطرقٍ مبتكرةٍ.
- ❃ التعاونُ مع المنظماتِ الثقافيةِ المحليةِ والدوليةِ، والجهاتِ الأكاديميةِ والباحثينَ/ات، والتأكيدُ على دورِ هذه الجهاتِ في دعمِ برامجِ حمايةِ التراثِ بطرقٍ متنوعةٍ، ولضمانِ أن يكونَ صوتُ المجتمعاتِ المحليةِ حاضرًا في هذه البرامجِ بكلِّ مراحلِها بما فيها التصميمُ والتنفيذُ والمراقبةُ، وكذلك في سياساتِ حمايةِ التراثِ، مما يعيدُ لهذه المجتمعاتِ الثقةَ والشعورَ بالانتماءِ للتراثِ والقدرةَ على الفاعليةِ بهذا المجالِ، ويحوّلُ التراثَ إلى أداةٍ حقيقيةٍ للمصالحةِ وبناءِ الهويةِ.

✳ الربطُ بينَ التُّراثِ والتنميةِ المُستَدامةِ من خلالِ:

- ❃ تحويلِ التراثِ إلى مصدرِ دخلٍ عبرَ السياحةِ الثقافيَّةِ، والحِرَفِ اليدويَّةِ، والمهرجاناتِ التراثيَّةِ.
- ❃ دمجُ التراثِ في المناهجِ التعليميَّةِ والمبادراتِ البيئيَّةِ.

✳ المبادرةُ بالمشاريعِ المجتمعيَّةِ مثلَ المهرجاناتِ والمعارِضِ وأيّام التراثِ في المدارسِ والسينما المجتمعيَّةِ، وحملاتِ التَّشجيرِ وحمايةِ البيئةِ، وإعادةِ إحياء المناسباتِ المحليَّةِ، وخلقِ مناسباتٍ جديدةٍ مثلَ يوم الموسيقا السوريَّةِ أو يومِ الفَخّارِ السوريٍّ أو يومِ الزُّجاجِ السوريٍّ.

تبيّنُ مجملُ هذه التوصياتِ، والتي سعينا لنقلها بحرفيتها تقريبًا من المشاركين/ات في الاستبيان، وجودُ وعيٍ كبيرٍ بأهميةِ التراثِ الماديِّ وغيرِ الماديِّ كحاملٍ لكثيرٍ من القيمِ والمساراتِ التي يحتاجُها المجتمعُ السوريُّ اليومَ، وحتّى كجزءٍ من الاقتصادِ الإبداعيِّ، بمقابلِ عدمِ وجودِ إمكانياتٍ كافيةٍ على الدوامِ وفي كلِّ المناطقِ لتفعيلِ العناصرِ الثقافيةِ والتراثيةِ بالشكلِ المطلوبِ وبطريقةٍ تحققُ الأهدافَ المرجوّةَ، مع غيابِ سياساتٍ كافيةٍ وقوانينَ واضحةٍ وناظمةٍ لهذا النوعِ من العملِ الثقافيِّ، ونقصِ المواردِ بشكلٍ حادٍّ، وتراجعِ أولويةِ الفعلِ الثقافيِّ عموماً لصالحِ احتياجاتٍ أكثرَ إلحاحًا لدى معظمِ السوريين.

تَوصياتٌ عامَّة

نضيفُ إلى كلِّ ما سبقَ المجموعةَ التاليةَ من التوصياتِ التي نرى بأنه من المفيدِ أخذها بعينِ الاعتبارِ عند تصميمِ أو دعمِ أيِّ برامجَ ثقافيةٍ خاصةً التي تسعى لتحقيقِ أهدافٍ مرتبطةٍ بالسِّلمِ الأهليِّ:

- بالرغمِ من تكرارِ الإشاراتِ في إجاباتِ المشاركين إلى الأثرِ السلبيِّ للسياساتِ المركزيةِ في سوريا على المجتمعاتِ الطرفيةِ والبعيدةِ عن مراكزِ المدنِ الرئيسية، تظهرُ البياناتُ أن أعلى نسبةٍ من المبادراتِ المشاركةِ في الاستبيان تتركّزُ في محافظتي دمشق وحلب، فوردت سبعُ إجاباتٍ من كلٍّ منهما، تليها محافظةُ ريفِ دمشق بستِّ مبادراتٍ. ويعكسُ هذا التوزيعُ استمرارَ المركزيةِ في خريطةِ الفعلِ الثقافيِّ، حتى في السياقاتِ التي تعاني فيها الأطرافُ من مستوياتٍ أعلى من التهميش. يؤكدُ هذا المعطى الحاجةَ الماسةَ إلى دعمِ مبادراتٍ ثقافيةٍ جديدةٍ تنطلقُ من المحافظاتِ والمناطقِ الطرفيةِ بصورةٍ فاعلةٍ، وتستجيبُ لحاجاتها وقضاياها المحلية، كما يبرزُ ضرورةَ تمكينِ هذه المبادراتِ من لعبِ دورٍ محوريٍّ في تفعيلِ مشاركةِ الفئاتِ الأكثر هشاشةً، بما يشملُ الشبابَ والنساءَ، عبرَ خلقِ مساحاتٍ ثقافيةٍ مستدامةٍ تعزّزُ حضورَهم في الفضاءِ العامِّ وتدعمُ مبادراتِهم المستقلةَ.
- تحتاجُ المناطقُ السوريةُ كافةً وبشكلٍ ملحٍّ لتفعيلِ المساحاتِ الثقافيةِ والفضاءاتِ العامةِ، كي تتاحَ ممارسةُ شتى أنواع العملِ الثقافيِّ والمدنيِّ بشكلٍ آمنٍ وإبداعيٍّ لكلِّ فئاتِ المجتمعِ خاصةً الفئاتِ المهمشةِ. هذه المساحاتُ متوافرةٌ اليوم بشكلٍ محدودٍ جدًا في بعضِ المدنِ الكبيرةِ لكن معظمَ المحافظاتِ والمناطقِ السوريةِ تغيبُ عنها بشكلٍ تامٍّ.
- التركيزُ على إشراكِ المجتمعاتِ المحليةِ في تخطيطِ وتصميمِ المشاريعِ والفعالياتِ التي تستهدفها. ويمكنُ قراءةُ هذه الحاجةِ على أنها انعكاسٌ لضرورةِ الانخراطِ بالشأنِ العامِّ والفعاليةِ السياسيةِ التي تشملُ كافةَ نواحي الحياةِ بما فيها الثقافةُ والفنونُ، وتتيحُ للأفرادِ مساحةً لامتلاكِ سرديتِهم وتعزيزِ شعورِهم بالانتماءِ والمسؤوليةِ تجاهَ مجتمعاتِهم أي تقوي إحساسَهم بالمواطنةِ الفاعلةِ.
- الربطُ بين البرامجِ الثقافيةِ وبرامجِ حمايةِ التراثِ وبينَ أهدافٍ أخرى، على رأسها الحوارُ والسلمُ الأهليُّ، وكذلك اكتسابُ مهاراتٍ إبداعيةٍ تتيحُ تحقيقَ عوائدَ اقتصاديةٍ مستدامةٍ.
- رغمَ وجودِ العديدِ من المبادراتِ والمجموعاتِ التي عملت خلالَ السنواتِ الماضيةِ على وجهٍ الخصوص لتوثيقِ مختلفِ عناصرِ التراثِ اللاماديِّ في العديدِ من المناطقِ السورية، لا تزالُ هناك فجوةٌ واضحةٌ في هذا المجالِ. لا بدَّ من العملِ بمنهجٍ علميٍّ وعصريٍّ على هذا المجالِ من التوثيقِ بحيثُ يحققَ الفائدةَ المرجوّةَ منه ولا يبقى مجردَ مشاريعَ مؤقتةٍ غيرَ ذات أثرٍ حقيقيٍّ.
- تحتاجُ معظمُ المجموعاتِ إلى التمكينِ وبناءِ القدراتِ على مستوياتٍ مختلفةٍ، بما يمكنُ أن يعزّزَ عملها وفاعليتَها بشكلٍ كبيرٍ. تشملُ مجالاتُ التمكينِ المحتملةِ: البناءُ المؤسسيُّ بما فيه الحوكمةُ وإعدادُ الميزانياتِ والتخطيطُ وكذلك إدارةُ المشاريعِ الثقافيةِ، التدريبُ على برامجَ محددةٍ مثل توثيقِ التراثِ والحرفِ التقليديةِ والفنونِ البصريةِ، التسويقُ والمناصرةُ والتعاملُ مع الإعلام.
- تحتاجُ المجموعاتُ والمبادراتُ العاملةُ في المجالِ الثقافيِّ لفرصِ تمويلٍ أكثرَ، ومستدامةٍ، وكذلك إلى تمويلاتٍ تغطي التكاليفَ التشغيليةَ وليسَ مجردَ برامجٍ مؤقتةٍ ومشاريعَ مرحليةٍ.
- خلقُ قنواتِ تشبيكٍ وتواصلٍ فعّالةٍ بينَ المؤسساتِ العاملةِ في المجالِ الثقافيِّ تضمنُ تبادلَ للخبراتِ والمعارفِ السياقيةِ، وإنشاءُ أجسامٍ نقابيةٍ إن أمكن لحمايةِ النشطاءِ والفاعلينَ وتمكينهم في مختلفِ المجالاتِ، والضغطُ لتحقيقِ مطالبِهم على مختلفِ الجهاتِ سواءَ المحليةِ أو الدوليةِ.
- تفعيلُ دورٍ أوضحَ للمؤسساتِ الحكوميةِ في الشأنِ الثقافيِّ والمدنيِّ بما يدعمُ الكياناتِ والمساحاتِ الموجودةِ، ويسهّلُ عملَها ومنحَ التراخيصِ والموافقاتِ اللازمةِ لها.
- المساعدةُ على التسويقِ سواءً للمنتجاتِ الماديةِ مثلَ منتجاتِ الحرفِ اليدويةِ، أو حتى لبرامجِ ومشاريعِ المنظماتِ والمبادراتِ الثقافيةِ.

الملاحق

ملحق 1: قائمة الأشكال والجداول

الجدولُ 1: قائمة المُشارِكينَ في الاستِبيانِ

الشكل 1 - نسبة توزع المجموعات المشاركة في الاستبيان حسب المحافظات السورية
الشكل 2 - أعداد المجموعات المشاركة في الاستبيان حسب المحافظات السورية
الشكل 3 - أعداد المجموعات المشاركة في الاستبيان حسب عام التأسيس

مُلحَقٌ 2: الاستِبيانْ

استبِيانُ المجموعاتِ الثقافيّة - عَلى خُطى الموسيقى

هذا الاستبيانُ هو جزءٌ منْ مَشروعِ "عَلى خُطى الموسيقى" وهوَ أحَدُ مشاريعِ مؤسَّسةِ "العَمَلُ للأمَل".

يهدفُ الاستبيانُ إلى التعرّفِ إلى الأفرادِ والمجموعاتِ والكياناتِ التي تعملُ في مختلفِ أنحاءِ سوريا ضمن القطاعِ الثقافيِّ وحفظِ الثقافةِ والتراثِ، خاصةً في المجتمعاتِ الأكثرِ تهميشًا، وضمن مجالاتٍ مرتبطةٍ بالتماسكِ المجتمعيِّ والسلمِ الأهليِّ.

يتضمنُ الاستبيانُ أسئلةً عامَّةً حولَ المجموعاتِ المستهدفةِ، وأهدافِها واستراتيجياتِها، والأثرِ الذي تسعى إلى تحقيقهِ، والتحدياتِ التي تواجهها، والأفقِ الذي تراهُ في المستقبلِ.

يُتَوقَّعُ أن يستغرقَ ملءُ الاستبيانِ نحوَ 30 دقيقةً.

نشكرُ لكم/ن اهتمامَكم/ن ووقتَكم/ن. ستتمُّ مشاركةُ نتائجِ الاستبيانِ معكم حال الانتهاءِ منها ضمن تقريرٍ مفصّلٍ.

القسمُ الأوَّل: أسئلةٌ عامَّةٌ

- الاسمُ الكاملُ
- هل تعملُ بمفردك أم تُمثلُ مجموعةً أو كيانًا أو مؤسسةً؟
  - أعملُ بمفردي
  - أمثلُ مجموعةً أو كيانًا (في حال هذا الخيار يرجى متابعة السؤالين التاليين)
- اسمُ المجموعةِ أو الكيانِ أو المؤسَّسةِ
- عددُ أفرادِ المجموعةِ
- تاريخُ بدايةِ العملِ
- المحافظةُ
- العنوانُ التفصيليُّ
- رقمُ هاتفٍ للتواصلِ
- صفحاتٌ على مواقع التواصل الاجتماعي (إن وجدت)

القسمُ الثاني: أسئلةٌ عن مجالاتِ العَمَل

- ما هو مجالُ عملِكم؟
- هل ترونَ بأنَّكم تعملونَ مع المجتمعاتِ المُهمَّشةِ؟ ما هيَ البرامجُ التي تنفذّونَها ضمنَ هذه المجتمعاتِ؟
- ما هوَ سببُ تَهميشِ هذه المُجتمعاتِ؟
- ما هيَ أشكالُ العملِ الثقافيِّ الأنسبِ ضمنَ هذهِ المجتمعاتِ؟
- هل تعملونَ على أيِّ برامجَ توثقُ جوانبَ من التراثِ السوري بمختَلفِ أشكالِه؟ ما هيَ؟
- ما هيَ أبرزُ المخاطرِ والتهديداتِ التي يواجهها هذا التراثُ اليومَ برأيكُم؟
- ما هوَ الدورُ الذي يمكنُ أن يلعبَه المجتمعُ المحليُّ السوريُّ اليومَ في حمايةِ التراثِ؟
- هل يمكنُ أن تعطونا أمثلةً عن حالاتٍ وثَّقتُم فيها التراثَ السوريَّ وكان لها أثرٌ ملموسٌ على أرضِ الواقعِ؟
- هل تعملونَ على أي برامجَ تتناول التَّماسُكَ الاجتماعيَّ وحمايةَ السِّلمِ الأهليِّ في منطقتِكم،
  حتّى وإنَ كانَ ذلكَ بشكلٍ غير مباشر؟ ما هيَ؟
- ما هوَ أثرُ هذه البرامجِ على أرضِ الواقعِ؟ هل هناكَ أمثلة؟
- كيفَ ترونَ بأنَّ الثقافةَ والعملَ الثقافيَّ يمكنُ أن يُساهِما في السِّلمِ الأهليِّ في سوريا؟

القسمُ الثالثُ: أسئلةٌ عن شكلِ التَّنظيمِ

- هل تعملونَ بشكلٍ مسجّل؟ إن كانتْ الإجابةُ نعم، ما هوَ نوعُ التَّسجيلِ أو التَّرخيصِ؟
- هل لديْكمُ هيكلٌ تنظيميٌّ واضحٌ للمجموعةِ؟ ما هوَ؟
- هل تَتعاونونَ مع أيَّة جِهاتٍ أخرى، رسميَّةً أو خاصةً؟ ما هيَ، وما هو نوعُ التعاونِ؟
- القسمُ الرّابعُ: أسئلةٌ عن التَحدِّياتِ والأفُقِ

القسمُ الرّابعُ: أسئلةٌ عن التَحدِّياتِ والأفُقِ

- ما هو الأثرُ الذي يتركه عملُكم اليومَ على المجتمعِ الذي تنشطون ضمنه؟ وعلى مختلفِ الشرائحِ؟
- ما هي أهمُّ التحدياتِ التي تواجه عملَكم؟ وكيف تتعاملون معها؟
- ما هي أهمُّ احتياجاتِكم اليومَ؟
- هل هناك مبادراتٌ مشابهة تعمل ضمن منطقتكم؟ ما هي؟
- كيفَ تفكِّرونَ بتطويرِ عملِكُم في الفترةِ المُقبلةِ؟ ما هوَ الأفقُ أمامَكم وأمامَ المبادراتِ المُشابهةِ؟

Action for Hope
العمل للأمل

www.onthetracksofmusic.org

بدعم من
صندوق حماية الثقافة، المجلس الثقافي البريطاني

In partnership with

BRITISH COUNCIL

Department
for Culture,
Media & Sport